العلم الثقافي

المدير: عبد الله البقالي
سنة: 54
سنة التأسيس: 1969/2/7
الخميس 5 أكتوبر 2023
الموافق 19 من إبيع الأول 1445

10 ، شارع زنقة المرج حسان الرباط

Bach1969med@gmail.com

رسائل الكفران

نجدُ الواقع أحْياناً مُمثِّلاً أحْذق في تقمُّص الأدوار من أيِّ فنان، نجدُ الواقع إعلامياً شجاعاً يُبلغ الحقيقة كما هي دون زيادة أو شيطان، وليس الحقيقة كما تمّ تجْميلها والّتي يُريدها الجميع، نجد الواقع موظّفاً نزيهاً يحلل الأجر، وليس مُجرَّد ثعْلب يظهر ويختفي في انتظار آخر الشّهرْ !

***

لا يُخفِّف شِدَّة الجُرْح إلا البوح !

***

أكبر دليل على أنَّ الأيام التي نحن فيها أجْمل من القادمة، هو حنيننا غير المُنْدمل للماضي!

***

كان جدِّي من أمِّي رحمه الله، وهو من المناطق المُجاورة لحوْز الأطلس حيث ضرب الزلزال، لا يزورنا في الرباط إلّا مُسْتعْجلا العودة، كأنّه ترك قلبهُ مُعلّقاً في إحدى الصخور الجبلية الآيلة للتّهدُّم، لا تُغْريه المدينة ورفاهية الحُجُرات في المباني الحديثة، ولا يُريد صروحها بديلا لمباني الطين والقش المرفوعة على أعمدة الشجر، تبدو مبثوثة في السهل السُّفْلي للجبل، أشبه بكهوف مع الفرق البسيط للأبواب الواطئة، الآن تأكّد لي بشدة الجاذبية التي كانت تجبر جدي على العودة رغم قصر مُدة الفراق، أنَّ مناطقَ الحوز زلزالية مائة في المائة، تجعل من يبرحها يعاني من حالة تتوزّع بين الفزع والاشتياق !

***

لم يُصْبح الأقرع أملس الرأس من فراغ، بل لفرْط مَا وقّع من الشّعْر وقعَ كل الشّعْر، ألا يحْتاج بعد أن نفدتْ كل النُّسَخ، صلْعةً أقصد طبْعة جديدة!

***

بعضُ النّوايا تنْتصر عن غير قَصْد، لأنَّها صافيةٌ ولا تصْطاد في الماء العَكِر !

***

حين تكتب كلمةً نارية ويقلُّ التَّفاعُل، اعلم أنَّك ألْقيتَ قُنْبلةً أبادتِ الجميع، وقد تكون منْ طراز المُفاعِل!

***

نحن لا نستطيع الثبات حتى مع تعليق كتبناه صادقين، في جدار فيسبوكي، فكيف نستطيع اتخاذ موقف جذري يُغيِّر أوضاعنا المغْموطة الحقوق، ولكن الخَلل ليس فينا ونحن نندلع في المُفْسدين كأيِّ فدائي لا يخشى الحريق، إنما العيْب الخُلُقي والأخلاقي، في يدٍ ترتعش مع قلمها بالتَّصْفيق!

***

منذ عهد ليس ببعيد عن الأنف، دقَّ الرَّسْميُّ آخر مسْمار في تابوت المُؤسَّسة الثقافية، لقد اسْتفرغها من محتواها بشراء ذمَم بعض مُدبّريها الذين تحالفوا مع خفافيش الظلام، آثروا المصلحة الشخصية وتلميع الصورة على الاستمرار الدونكيشوتي في مقارعة السلطة بالسيف !

***

الطبيعي أن تحصل على انعكاس في المرآة، أما غيْر الطبيعي أنْ تكون عديم الخيال!

***

سواء في حالة الحب أو الدم الناتج عن الضَّرب، لا تكن كالثور الذي يهيجه الأحمر !

***

لا تُقاسُ النتائج دائماً بالأرقام، إنما بحجم الأثر البليغ للصِّراع من أجْل تحقيق أقْسى الأحلام!

***

أجمل رسائل الحبِ تلك التي تأتي من جهة القلب، وأجمل الشعر ذاك الذي يأتي بدون استئذان، وتجده في الغد قد نبت هنا.. وهناك كالزَّهْر بعد أن كتبتْه أكثر من يد !

***

سألت صديقي ما الحدث الأبرز في شقِ المغرب الثقافي، فأجابني دون أن يعيرني نظراً، بل كان يتتبَّع بناظريه حدثاً آخر أبْرَز في شقه السُّفْلي، قال: بعد أن طارت مع الكرة السُّكْرة وجاءت الفكرة، ليس ثمّة من حدث ثقافي أبْرز من هذه الكُرات التي تمْشي على كعبٍ عالٍ في الشارع!

***

لم يكن ليخطر بخلْدي أن السنة التي قضيتها في قسْم التصحيح حين التحاقي بمهنة الصحافة عام 1994، ستنفعني كثيرا ليس فقط في المسالك الملغومة للتحرير، بل في كل شؤون الحياة التي يستدعي عبورها بديهة أسرع تُميِّز بين الدرب الأسْلم والخطير، كانت هذه السنة التي توهّمْتُها أول عقاب في مساري المهني، كفيلة بأن تُنمّي في داخلي حاسّة تتجاوز الخامسة، ولستُ أبالغ إذا قلتُ إنها ليست حاسّة فقط، بل آلة تسْتشعر الخطأ قبل أن تضع الذبابة نقطتها السوداء على الورقة !

محمد بشكار
bachkar_mohamed@yahoo.fr

أقدام على الحافة

مصطفى ملح

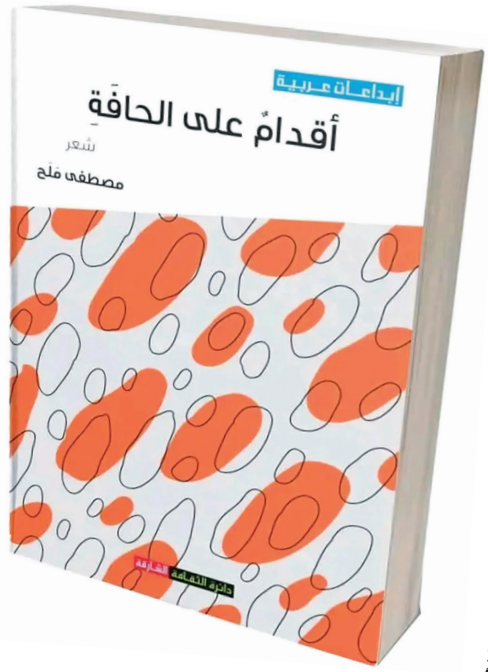

عن دائرة الثقافة بالشارقة صدر أخيرا ديوان جديد موسوم بعنوان (أقدام على الحافة) للشاعر والروائي المغربي مصطفى ملح. ويمثل الديوان تتويجا لمسيرة شعرية تأثثت بالمجموعات الشعرية الآتية: دم الشاعر 2006، عصافير الطفولة 2009، رماد الشمس 2014، أمواج في اليابسة 2015، أجراس بعيدة 2016، سماء لا تسع السرب 2016، لا أوبخ أحدا 2019، بين الكاف والنون 2020، أرض لا تصلح للحب 2021. وأخيرا: أقدام على الحافة 2023 الذي قدم له الشاعر عبد الحق ميفراني مدير دار الشعر بمراكش، وهي المؤسسة المشرفة على الديوان بتنسيق مع دار الثقافة بالشارقة. وقد عنون الشاعر ميفراني توطئته بعنوان لافت: «القصيدة بوعي أنطلوجي». ونقتطف من كلمته ما يلي: (أقدام على الحافة، ديوان جديد للشاعر مصطفى ملح، أحد أبرز شعراء التسعينيات في المغرب، والذي راكم ضمن مساره الإبداعي منجزا شعريا وسرديا غنيا، جعله أحد أهم الأصوات الشعرية الحاضرة بقوة في المشهد الشعري الحديث بالمغرب) ويتشكل الديوان من 153 صفحة من الحجم المتوسط، كما تقتسم الديوان ستة فصول وردت كالآتي:

-الفصل الأول: شهوة الصعود إلى الهاوية.

ويتضمن ثلاث قصائد: من سفك دم هند؟/ الكائن المنسوج من عدم/ أقدام على الحافة.

-الفصل الثاني: الوهم أقل التباسا من الحقيقة.

ويتضمن قصيدتين: الفأر الإلكتروني/ لسان العرب.

-الفصل الثالث: البرزخ وطن غير بعيد.

ويتضمن قصيدتين: مثل أسنان مشط/ الجحيم.

-الفصل الرابع: الحلم بعيون نيتة.

ويتضمن ثلاث قصائد: كنت أحلم في صغري/ بكاء شاعر يسيل/ السم في كأس سقراط.

-الفصل الخامس: الحب بقلب آيل للكسر.

وتمثله قصيدة واحدة: إلى امرأة ستولد قريبا.

-الفصل السادس: فخاخ لصيد الزمن.

ويتضمن أربعة عشر نصا شعريا: ثلاثة عشر فخا/ الفخاخ/ الحقيبة/ الكفن/ العريس/ الظل/ الفراغ/ الحمار/ نساء/ شهرزاد/ السرك/ القصيدة/ القناص/ القفص.

وجدير بالذكر أن الشاعر مصطفى ملح اختار قصيدة التفعيلة في قصائده كما لو كان يعيد للعالم غير المنضبط ذي الإيقاع المنكسر، بعضا من إيقاعه المفقود، وذلك باعتماد قصيدة التفعيلة.

طائر بلا جناح

مسعود الجاحظ الصغير

عن دار الثقافة المغربية صدرت للروائي المبدع الأستاذ مسعود الجاحظ الصغير، رواية جديدة من 303 صفحة من الحجم المتوسط تحت عنوان «طائر بلا جناح». تتناول بأحداثها وشخصياتها وجغرافيتها المتعددة -والمتنوعة الأعراق والسلالات- قيما أخلاقية وعقدية واجتماعية وجمالية وهو الخبير التربوي العارف بعلم النفس والاجتماع، وما يمكن للقيم أن تساهم به في تكوين الأفراد والمجتمعات، فقد طاف بنا الراوي في بلدان وثقافات لكن تبقى القيم الإنسانية هي السائدة رغم الاختلاف والتعدد. وفي العديد من تمفصلات الرواية تتبدى تقابلات ضدية إيجابية من مشاهد الغنى والفقر والخير والشر والعلم والجهل بأسلوب سردي سلس يدعو القارئ لمواصلة تتبع أحداث الرواية حتى آخر نفس. ونترك للقارئ اكتشاف عوالم رواية الأستاذ الفذ الجاحظ مسعود الصغير وما تحبل به من دهشة سردية لافتة.

مجلة تطريس تحتفي في عددها الأول بالشعر وكونيّة القيم

خصصت مجلة (تطريس) عددها الأول للنقد وتحليل الخطاب، وقد صدرت هذه المجلة الجديدة عن أكاديمية الشعر العربي (الطائف- المملكة العربية السعودية). يتضمّن محور العدد الخاص بـ»الشعر وكونيّة القيم»، عشر مقالات افتتحها أدونيس بمقال وسمه بـ»من نفق الآلة إلى أفق الإنسان»، وقدّم فيه تعريفه للشعر منطلقا في ذلك من مقولات معروفة مألوفة، فوضّحها، وأضاف إليها ما يمثله الشّعر بالنسبة إليه، مؤكّدا أنّ الشعر «عمل حيويّ، حياتيّ، يتحرّك في أفق تساؤليّ استقصائيّ لمزيد من الكشف والمعرفة»، وتطرّقت أم الزّين بنشيخة في مقالها «الشعراء في ضيافة الفلاسفة: نحو قصيدة المستقبل» إلى المسألة من وجهة نظر فلسفيّة، فبيّنت منزلة الشّعراء عند الفلاسفة، وتجوّلت بنا في مدن الفلاسفة منذ أفلاطون إلى هيدغر، لتسبر أغوار العلاقة بين الفلاسفة والشعراء، وأكّدت أنه بـ»وسع القصائد أن تمنحنا عالما مغايرا كلما سقطنا في الفراغ». ومن الزاوية الفلسفيّة، تناول محمّد الحرز «الشّعر بوصفه القيمة الإنسانيّة الكبرى»، واعتبر الشّعر أصل المعرفة البشريّة، مبيّنا فضل الخيال الشعريّ في الارتقاء بالأمم والنهوض بها. وركّز على المشترك الإنسانيّ الذي تتضافر القصائد شرقا وغربا، قديما وحديثا، في نسجه ولفت الانتباه إليه.

وفي سياق العودة إلى الأصول، كشف إحسان الديك عن القيم الكونيّة بين الشعر والأسطورة واعتبر أنّ «الشّعر، كما الأسطورة،

الحياة بما فيها الحياة الاقتصاديّة. وبنى على هاتين المسلمتين سؤالا إشكاليّا هو: ما مدى حضور الرّبا في الشعر العربيّ القديم مقارنة بحضوره الكثيف في القرآن الكريم؟ وانتهى إلى أنّ حضور الواقع الرّبويّ في الشّعر العربيّ ضئيل، غير أنّ الشّعراء القدامى قد صوّروا «الدّين وثقل المغرم، ومعاناة المطالبين بالسّداد في أكثر من معنى، حيث ورد ذكر الدّين والغارم في استخدامات مجازيّة متعدّدة».

وتناول محمد مختار العبيدي «الشعر والقيم الكونيّة»، حيث أبرز القيم التي كانت تنظم حياة العرب قبل الإسلام، وركّز على حضور ثنائيّة الجود والكرم في السلّم القيميّ عند العرب وما تمثّله من أساس لما سمّاه بشر فارس بـ»العرض عند العرب»، منبّها إلى أهمّيّة ما تعنيه محافظة الإسلام على هذه الثّنائية، واشادته بها وبأصحابها. وتفاعلا مع هذا المقال، طرح عبد اللطيف الورياري في مقاله «القيم في الشّعر العربي من نسق البداوة إلى الوعي المدينيّ»، عددًا من الأسئلة المنهجيّة والمعرفيّة. وانطلق منها ليوسّع في مفهوم القيمة، ويتتبّع أشكال حضورها في منتخبات من الشعر العربي، مركّزا على مسألة الغنائيّة في الشّعر العربيّ باعتبارها خطابا فنيّا» ظلّ يحتضن مجموع القيم داخل هذا الشّعر قديمه وحديثه، ومنتهيا إلى أنّ ما يكتبه الشعراء يحمل قيمة إنسانيّة تقاوم «فساد الكون». وتناول عادل خميس الزهراني مسألة الشعر وكونية القيم من باب غرض الرثاء، فعنون مقاله بـ»الرثاء وقيمة القيم: محاربة القبح بالجمال»، حيث قدّم رؤيته للجمال وللقيم والشعر، متفاعلا في ذلك مع عدد من فلاسفة الغرب الذين أفردوا دراسات لتناول مسألة القيم والجمال والشعر والنقد، ليخلص إلى أن كون القصيدة هي «سفير الجمال الأمين» وهي التي تقاوم بشعريّتها قبح العالم. ونظرت سامية الدريدي في «شعريّة القيم الكونيّة في أشعار العرب»، وبيّنت أنه دفعها إلى تجديد التساؤل عن أسرار «حاجتنا» إلى الشعر القديم والعودة إليه، رغم انقضاء قرون على نظمه. وأكّدت أنّ الشعر العربيّ في مختلف أطواره قد احتفى بالقيم الكونيّة، و»حض عليها والتزم بنشرها» وأنّ «القيم الكونيّة من قبيل المشترك بين الشعوب والأمم».

عبد الحق السلموتي

الشاعر المغربي محمد عرش يعتمر قبعة الناقد

كتابان جديدان حول التجربة الشعرية لكل من سعدي يوسف ومحمد بنطلحة

بعد دواوينه الست «أحوال الطقس الآتية» و»أنثى المسافات» و»مغارة هرقل» ثم «كأس ديك الجن» فـ « مخبزة أونغارتي» و»بنصف سماء». عزز الشاعر محمد عرش ساحة النشر في الآونة الأخيرة بكتابين نقديين جديدين. وقد صدر أولهما عن دار نشر عربية، وثانيهما عن دار نشر مغربية لها رصيدها الهام من الإصدارات في شتى الأصناف الأدبية.

بعيدا عن سماء مريم: مقاربة التجربة الشعرية لسعدي يوسف

هذا الكتاب الأول عبارة عن دراسة نقدية صدرت عن دار «خطوط وظلال» للنشر والتوزيع الأردنية. يتكون هذا المؤلف من خمسة فصول وخاتمة، ممتدة عبر 142 صفحة من القطع ما بين المتوسط والكبير. وقد جاءت عناوين فصوله كالتالي:

- **من الولادة حتى حدود الاكتمال.**
- **المرأة وتعدد الأسماء.**
- **المرأة: الرمز والأسطورة.**
- **عمق التجربة.**
- **قصيدة التفاصيل.**

قبل ولوج عوالم هذه الفصول تستوقفنا المقدمة الرصينة، التي دشن بها محمد عرش مؤلفه النقدي، والتي تسعى إلى تقريب القارئ وتيسير الطريق عليه، لاقتحام متون هذه المقاربة الشعرية الفذة.

ومما جاء في هذه الكلمة الاستهلالية نقرأ :

«... كيف يمكن خلق علائق حميمة مع منجز المبدع؟ ومن أين نبدأ ملامسة النص؟ وما هي أعضاؤه الرئيسة، التي تفتح سراديب البدايات؟ وكيف يمكن تركيب شظايا القراءة؟ وإعادتها إلى صورتها الأولى؟ هذه الأسئلة يتطلب الإجابة عنها تركيز، وتأمل في الآن نفسه، لأنها مثل مفاتيح، تقودنا إلى عمق تجربة الشاعر، وملامسة ما يخفيه في ثناياها، لذلك ينبغي أن ننطلق من السؤال بعد تقليبه على عدة وجوه، حتى نقنع أنفسنا بمواصلة السفر.

من هنا تم اختيار الشاعر المتميز سعدي يوسف، لما تمثل تجربته من فرادة، وخاصة القصائد التي تهتم بشعرية التفاصيل، وتتبع جزئيات اليومي ...».

شعرية القصيدة المغربية: بحث في البنيات الشكلية والأكوان الدلالية

من بين ما يسعى إليه هذا المؤلف الثاني الصادر عن مكتبة السلام الجديدة بالدار البيضاء، هو طرح عدد من التساؤلات للدخول في حوار مع التجربة الإبداعية لمحمد بنطلحة، بالإضافة إلى رد الاعتبار للشعر المغربي المعاصر، وكشف التحولات، والمميزات التي ينفرد بها.

قسم محمد عرش متنه النقدي المكون من 327 صفحة من القطع المتوسط، إلى خمسة فصول، عنونها كالتالي :

- **شعرية اللغة.**
- **شعرية الإيقاع.**
- **شعرية السرد.**
- **شعرية المتخيل.**
- **شعرية الكتابة.**

وتتفرع عن كل فصل العديد من العناوين الكبرى والفقرات المطولة والمستفيضة التي تتناول بالدرس والتحليل، مجموعة من دواوين «محمد بنطلحة» ثم قضايا أخرى من صلب الشعر المغربي الحديث.

دبج المؤلف منجزه الأدبي بكلمة تقديمية، تيسر للقارء هي أيضا الولوج بسلاسة ثم الغوص والإبحار في متون هذا البحث الأدبي الرصين. ومن هذا الاستهلال نقتطف ما يلي :

«... عالج محمد بنطلحة، هذا المنظور النقدي، أثناء مناقشة رسالته الجامعية، ويبدأ عبد الله راجع، فيما انتهى إليه محمد بنيس في رسالته (ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب) حيث بنية السقوط والانتظار مبينا أنها هي الطابع العام للمتن الذي درسه الأستاذ محمد بنيس، دون أن يعني ذلك أنه لا وجود لبصمات واضحة لبنية أخرى مغايرة ستجد أقوى تجسيد لها في المتن الذي انطلق منذ بداية السبعينيات ليستمر خلال هذه السنوات العشر كاشفا عن وجوده بالقوة. ومن هنا يصح أن نفرد لكل من المجاطي والكنوني مكانة خاصة في شعر الستينات، لا لأنهما امتلكا مؤهلات الكتابة الشعرية فحسب، ولا لأنهما أفسحا المجال لفهم مغاير للكتابة، بل لأن الكثير من النماذج الشعرية التي أنتجاها منذ أواخر الستينات بشرت بوجود بنية أخرى لم تكن حتى ذلك الوقت قد أبانت عن نفسها بحيث يسهل القبض عليها، وتسميتها، ونلاحظ أن كلا من محمد بنطلحة، وعبد الله راجع، لا يرغبان في قتل الأب ابداعيا والانطلاق من الفراغ ...».

بهذين الإصدارين الحديثين يكون الدكتور محمد عرش قد اعتمر قبعة النقد والتحليل الأدبي، عوض الاكتفاء بالشعر الذي بصم اسمه منذ عقد السبعينيات، وإن لم يركب قطار النشر فيه إلا في الثمانينيات على غرار مجموعة من مجايليه من الشعراء المغاربة.

أرقام في متاهات الحياة

د. عبد الرحمن بن زيدان

في عشق الحيرة

(ضوء خافت في حجرة .... طاولة ورفوف للكتب فوقها مزهرية بجانبها مرآة تعكس حركات المرأة)
(المرأة أمام المرآة)
لماذا أنت مُتحيّرة أيتها الحائِرة بين نعم ولا؟
(تضحك)
لو لم أعشق التحمّل مع نقيضي ما كنت عشت كل هذه السنين
طبعا بين نعم أنا أعيش معك ولا أنا لا أعيش معك
(تسأل نفسها وهي مترددة)
كيف عشت بحيرتي معك وأنا عاشقة الحياة؟
كيف لم أتخلص منها؟
(بإصرار)
نعم أعشق الحياة بدون حيرة
(مستدركة)
ولماذا أتغنى بها صباح مساء؟
(تجيب في حيرة)
الحيرة مع الشك هما مفتاح معرفتي
(تتساءل)
معرفتي بماذا أيتها المجنونة؟
هل أنا مجنونة؟
(تسأل نفسها وهي تضحك)
معرفتي بماذا؟
معرفتي بمن؟
سأجيبك يا أنا
(تتجه نحو الكتاب الموضوع فوق الطاولة)
في هذا الكتاب معرفتي
(تشير إلى رف الكتب)
في كل الكتب التي رتبتها في غرفتي
توجد معرفتي المسكونة بحيرة جميلة بها أدق أبواب المعرفة حتى تنفتح
بها أتحسس معنى وجودي في هذا الوجود
فيها أقرأ ما في ذاكرتي
بها أعرف ما تحمله ذاتي من وهن ومواجع
بها أعرف شدة الوجع في المواجع التي تسكن من يُفكّر في الحيرة
الحيرة متعبة لكنها بلسم يخفف عني حدّة كلّ المواجع
(تتساءل)
أنت المتعودة على الغياب
لما جِئت يا أنا في هذه اللحظة؟
(تضع الكتاب فوق الطاولة .... تقف أمام المرآة متحدثة بسخرية)
بتعبي كسرت الغياب فحضرت
تخطيت الاحتجاب فأتيت
تجاوزت الغروب فبزغت
مع الانكشاف أسألك يا أنا
من أنا؟
دعيني يا نفسي أجيب عن السؤال بسؤال آخر
لماذا تطلّين اليوم وأنت ظل شبح يهوى الظلمة حتى يبقى مجهولا؟
الظلمة أحيانا عندي مُلهمة للحيرة والقلق
هل أقبلها؟
نعم أقبلها في زمن كل أيامه بالظُّلم مُدلهمّة
معها لا أقنط من رتّابة العمر
لأن كل الأعمار بها مكتوبة بأمل كسر الرتابة العنيدة
محو الحيرة
الحيرة المكتوبة فصولها وأيامها برفقتي
(تشير إلى الكتاب)
هل أفتحك أيها الكتاب؟ هل أطلع على المكتوب في صفحاته؟
لا..لا ... أنا أخاف من المفاجآت
التردد جميل حين يزيد من حيرتي
التعلثم مقبول حين يترك كلام الكتاب غير صامت
التحير أجمل حين يبلغ ضياعه ويجعل الكتاب ينطق بما يعرف...
الكتاب فيه حُبّ الحكمة والمعرفة والفكر الإنساني
(تسأل من جديد وهي أمام المرآة)
يعرف ماذا؟
(بعد تأمل طويل تجيب)
يعرف ما سُطر فيه...يعرف حتى من كتب على قرطاسه بلاغة المكتوب.
يعرف من كسّر الأقلام لتجف بعد ذلك منابع الكلام
ماذا يعرف؟
ماذا تعرفين يا أنا؟
(بعد تردّد)
أعرف الجواب...
(تسأل)
هل تعرفين الجواب أيتها الجريئة؟
نعم...نعم....نعم
(متسائلة)
متى ستقرئين هذا الكتاب؟
متى؟
متى؟
متى؟
نعم سأقوم بالقراءة لأشارك هذه الوحيدة الحيرانة متعة الحياة التي هي أنا
(تضحك)
لأن المتعة لا تتحقق إلا بجود اثنين

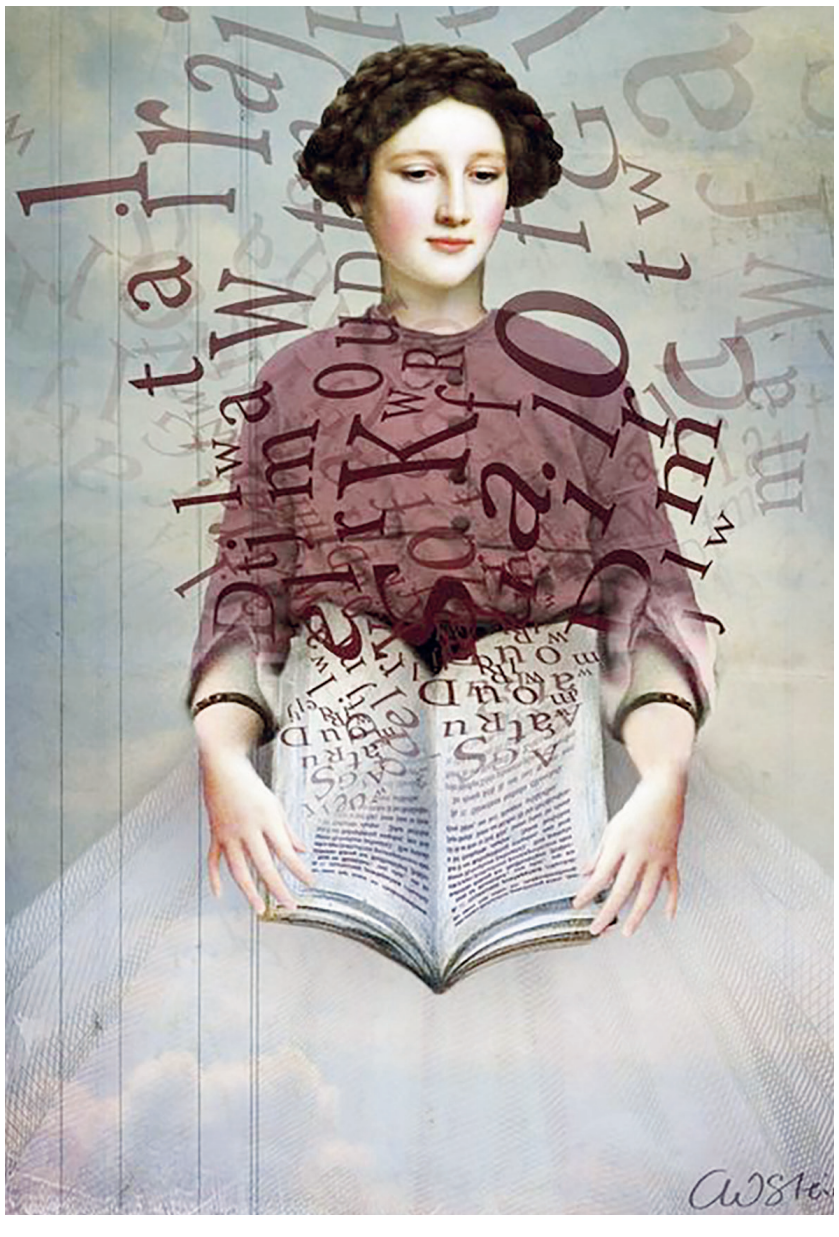

كاليد وحدها لا يمكن أن تصفق إلا مع يد أخرى
سأقرأ... سأقرأ... سأقرأ...
سأقرأ كتاب الضياع والحيرة، سأنهل الحكمة من عيون الحكمة حتى لا أبقى تائها.... وماذا بعد؟

قراءة كتاب الحيرة

(تأخذ الكتاب وتضمه إلى صدرها)
أيها الكتاب، من الذي يعرف من سطّر في قلبك ما به أنا موجودة فيك؟
ماذا سجلوا في سطورك وماذا ألّفوا عنّي وعنْك؟
يا عمر أعماري
كل ما هو مكتوب ومدوّن وموثّق فيك أيها الكتاب
أنا فيه موجودة لا خيار لي في اختيار نوع الوجود البعيد عنك
أقول ثم أقول الوجود فيك وجود
وإبهام الوجود فيك عدم
والعدم فيك هباء
والهباء ضياع في ضياع
لا خيار أمامي سوى أن أحوّل الصمت الجارف إلى هدوء ساكن، أو أحوّله إلى سكون متحرك...
أريد أن أكون موجودة معك لأعرف ما فيك يا كتاب من حكمة تتطلع إلى الوصول إلى معنى الحياة.
هل أفتحك أيها المغلق الحاضن لأسراري وحقيقة العالم من حولي؟
علمني كيف أنظر إلى الإنسان والكون...
(بارتباك)
العالم يخيفني ويُروّع من لا يشعر فيه بالاطمئنان.
(بثقة)
لا خوف عليك يا أنا ما دمت تنعمين بحيرتك، بجزعك، بوجلك وأنت تتعلمين.
(أمام المرآة متسائلة)
هل أفتح كتابَك يا أنا؟
هل أفتحك أيها الكتاب؟
هل أجد فيك ترتيبا لحياتي؟
أيها الكتاب إنك وعاء المعلومات وخزّان حيرتي وحيرتها وحيرة كل الناس
يا حاضن حيرتي في هذه المعلومات
أنت لست حزمة ورقية مغلقة على أسرارها بالطلاسم
أنت حين تنطق بصوت مبحوح فأصواتك كلها ناطقة بحقيقة العالم المعلوم والمجهول.
(تقترب بخشوع من الكتاب)
أتركني ألمسك... أتركني أنظر إلى بهائك...دعني أضم نبضك ونورك إلى صدري.
أتركني أقرأ حيرتي فيك حتى أتطهر
أتركني آخذ منك نور الحياة والمعرفة حتى أتحرر
لا تقل لي إنك في ذمة من يملكك
لا تقل لي إنك ملك من كتبك
لا تقل لي إنك في عهدة من سَلاك
لا تقل لي إنك بلا حيرة مثلي
قل لي إن الحيرة تلبسك كما تلبسني
كتابُنا واحد.... وقدرُنا واحد
(تضع يدها فوق الكتاب)
في حرمة هذا الكتاب أمانتنا لأن فيه سرّ وجودنا
فيه عهدنا، فيه أماننا لأنه أنا، لأنه نحن... لأنه تاريخ آدم وأبناء آدم.
فيك حياة أمم وشعوب وحضارات وأساطير

ونزاعات وعاشقين ومعشوقين، وضحايا، وجلادين، وعبيد وأحرار.
فيك عمران وفيك خراب، فيك صور هي بهجة للناظرين، فيك مبصرون وفيك عميان...
هل نحن أهل ذمة؟
هل أنت يا أنا حيرانة من أهل الذمة؟
سأغوصَ فيك وأسافر في ذمام الليل مهتديا بأنفاسي إليكِ لأنك العالم في هذا الكتاب.
أيها الكتاب هل تعرف أنك في ذمتي كما أنا في ذمتك؟
لماذا لا تجيب؟
لما أنت صامت صمت القبور؟
هنا أو هناك...
كل صامت إلا وهو تائه بعرض الليل في مقابر أضيحت تضيق بأهلها، مقابر فيها الأخيار، وفيها والأشرار، فيها من تبلّدت عقولهم، ومنهم من لف الخراب مدنهم.
جياعك أيتها القبور رحلوا كلمح البصر دون أن يعرفوا من سرق اللقمة من فمهم بعد أن باس الخاطفون الأوطان وباعوها بأبخس الأثمان، لم يعرفوا أن المؤرخين والمفكرين والأدباء الذي كتبوا تاريخك بأفكارهم، وبأرواحهم تركوا عصارة تجاربهم في مضمونك أيها الكتاب، فصرت غريبا غريباء
فمن يقرؤك بعد أن لم يعد للقراء وجود.
لماذا أنت صامت أيها الكتاب؟
أريد أن أسمع أصواتهم في صوتك... أريد أن أسمع همسهم في همسك...أريدك يا كتاب الذاكرة المشتركة بين الحضارات والثقافات أن تتكلم عن الإنسان.
مرت ملايين السنين والسؤال هو نفسه.
من تكون الآن؟ من تكون وأنت صامت لا تتكلم؟
من تكون؟

كتاب بذاكرة صامتة

(تقف أمام المرآة)
حيرتي تجعلني أتساءل دوما بحثا عن المعرفة
أنت ... أنت...أنت
أنت أيها الكتاب
من تكون يا حامل الأسرار والحيوات؟
يا ذاكرة صامتة تريد إجلاء حيرتي للحيارى مثلي
يا شريكي فيما جمعنا معا من لحظات لقاء وفراق في الليالي الخوالي
هل أتكلم؟ هل أتلو على حيرتي ما هو مكتوب من حيرات في خلدي؟
بالي متعب...قلبي متعب... كل أخلاد الناس عامرة بالأفكار والأحزان تريد أن تخلد إلى الهدوء، إلى الاستقرار، إلى الأمان، إلى السلم...هم ينتظرون الذي يأتي والذي ربما لن يأتي.
(توجه كلامها إلى نفسها)
إسمعي إلى كلماتي يا أنا....
إنّي أحسّ بارتباكي....
أنظري يا أنا إلى بهجتي يا حيرتي وأنا أبحث عن قراء حيرتي مصوغة برائحة الكتب التي تمّ إحراقها، والأضمومات الشعرية التي تم إتلافها، وكتب الفلاسفة والمتصوفة التي تمّ إشعال النار في أفكارها، إنها حيرتي.. يا سادتي
(تمعن النظر في الكتاب)
ماذا أريد أن أفعله
أبحث عمن يقرأ معي هذا الكتاب.
في غياب قرّاء أبحث صحبة هذا إقدامي وحزمي عمن يقرأ مقاماتك أيها الكتاب؟
هل أبدأ بقراءة كتاب حيرتي من اليمين أم أتصفحه من الشمال؟
هل أصمت؟
هل فعلا أنني سأتخلص من الضغط الذي يمارسه عليّ صمت القبور والموتى والأحياء والزيف والمسخ؟
المهم دعيني يا أنا أقرأ حيرتي فيك حتى أحس أكثر بمواجعي الموجعة يا أنا.

كتاب بلسان فصيح

(تسأل الكتاب بتودد)
إسمح لي أيها الكتاب الغامض بكل معاني اللبس فيك
هل يقدر أي أحد أن يتعاطف مع حيرتك مثلي؟
هل سيفهمها كما أفهمك؟
مستحيل مستحيل لأني أنا في صفحات عمر هذا الكتاب أكون الكلمة والمعنى
أنا فيه البدء والبداية....أنا فيه الحيرة الباحثة عن الهداية
أنا الاستهلال والفاتحة.
لا تمنعوني من فتح أسرار هذه المواجع لأنها مغص في توجّع وتأوه.
(تخاطب أناسا وهميين)
أيها الناس...ياقوم...يا إنس ويا أهل الله
هل تعرفون قيمة هذا الكتاب؟
(تجيب بثقة كبيرة)
الكتاب مضمونه في همسه الخافت كلام.
وفي كلام هجسه حكمة واتعاظ وموعظة
همسه هو صوتي الخفي
وهو همسي في المستور
هو نبض الباطن المستتر
(وكأنها أخذت قرارا أكثر صراحة)
هل أبدأ في فتح هذا الكتاب؟
هل أبدأ في تلاوة مضمونه؟
فعلا تلا يعني ـ يا أنا ـ إتبعي ما فيه
(ساخرة)
هل هو تابعي الذي كان يجمع ما في أيامي من لحظات فيها من الحلو قدر ما فيها من المرّ.
هل أفتح الكتاب لأبدأ في القراءة؟
ماذا أسمع؟
لا تقرئي... لا تقرئي... لا تقرئي
ما هذا الصوت الذي يمنعني من القراءة؟
لا تسمعي إلى هذا الصوت يا أنا
لا تؤجلي القراءة إلى يوم غير معلوم
أقول حاضرة... حاضرة... لأنكِ يا أنا حاضرة معي في الحضور وفي الغياب
عندما تقولين حاضرة فإني لا أرى إلا إلى العينين الضائعتين بتعقل بين التيهان وبين الخوف من الفقد .
العينان اللتان تديران حيرتي في ليل طويل
لكن الليل مهما طال فلا بدّ أن يقصر طوله كلما قلتِ يا أنا....
أنا عارفة
كلما قلت أنا أجد متعة فيما تكتب....
أرجوك إبعث لي بكل الخطابات المدونة حتى أضيفها إلى الكتاب
لكنك اعتذرت بدعوى أنك محوتها بمحض إرادة المنع والرقيب.
لكن الحيرة يا أنا تحفزني على قراءة فصول ما تبقى من حيرتي في حيرتي

قراءة فصول من الحيرة

أيها الكتاب الذي كتبه الإنسان المفكر المتسائل عن أحوال العالم هل تقول ما قالته حيرتي عن عالمي؟
سأسمع إلى كلامك؟
(تتأمل في هدوء تنتظر الذي سيتكلم)
أسمع في كلامك همسي وأنا أصحب همسي في عالمي
مع صرخة الميلاد أشهد كلماتي على العالم أنه عالم عاقل مختل حيران
(تقلب غلاف الكتاب)
ماهذا؟
(تقلب صفحات الكتاب صفحة صفحة)
لماذا صفحاتك فارغة؟
بياضك شاغر أيها الكتاب
امتداداتك في البياض خالية من حياة الكلمات التي ربما غيّبوها
كنت أتوقع أن صفحاتك ستكون بالحياة ملآنة
كنت أخال أنها ستكون عامرة بطيب أنفاس العالم النقي المشتهى
للأسف لم أجد إلا البياض المحشو باللامعنى
ألفيته مفعما بسؤال الغياب والفراغ والشغور
وجدت فيه غياب الحياة من الحياة
كنت أعتقد أن صفحاتك ستكون آهلة بمن هم أهل لبياضك
جملة واحدة مكتوبة في الصفحة الأولى تقول:
أدْخل الرقم السري.
(منَدهشة ومتسائلة أمام المرآة)
ما هذه الصدمة؟
الرقم السري؟
لكني أنا لا أملك رقما سريا حتى أدخل إلى أسفارك أيها الكتاب
في الحقيقة أنا لا أملك رقما سريا للتخلص من حيرتي
لا أملك رقما سريا يفتح لي أبواب حياة أخرى أجدد فيها أيامي وأحلامي مع من عشقت.
هل معرفة الحياة ـ الآن ـ صارت مشروطة بتملك رقم سري يفتح أبواب الحياة على مصراعيه حتى ننعم بهذه الحياة؟
(بتعجب)
في حدود علمي لم يكن هناك أي رقم سري للدخول في عالم المعرفة
الدخول إلى عالم الإيمان، والعشق، وحب المعرفة.
آه من هذه الحيرة مع المعرفة، وآه من المعرفة مع الشك، وآه من منع هذه المعرفة...
تسألينني يا أنا ما المعرفة في هذا الكتاب؟
(تتولى الإجابة بثقة نفس)
ما تبقى في ذاكرتي يُردّد:
المعرفة جنة الإنسان لأن الفهم مفتاح الفقه والفطنة، مفتاح هذه الجنة في الأرض، المعرفة هي تملكك الخبرة والدراية، إنها المناعة التي تقي من الرعونة، والحماقة، والطيش، والجهالة.
(تسأل نفسها)
أنت يا أيها العالم في الكتاب، وأنت يا كتاب الفكر الباحث عن الحقيقة كيف صرت الآن؟
(كأنها تبحث عن جواب)
نسيت أن العالم كله صار محكوما بأكواد وأرقام سرية تفتح جميع الشبكات، العالم لا يعلمنا سوى معرفة طريقة إنشاء رقم سري يضمن الأمان أكثر، من أضاع رقمه السري فقد أضاع مفاتيح العلاقة بينه وبين مُراده.
الكل يسألك في كل تواصل: ما رقمك السري؟ هل تملك كلمة مرور؟
عالمنا أيها الكتاب صار رموزا سرية. أرقاما سرية، أنا رقم، هو رقم، هي رقم، كلنا أرقام، كلهم أرقام.
هل بدأت يا أنا تعرفين سبب حيرتي في قلقي؟
نعم...نعم.... نعم
إنها الحيرة بين الأرقام، إنها الضياع بين غموض الأرقام
حيرة العالم بين كلمات السر، وكلمات فتح المغاليق، كلمات السر الذكية مفتاح وقفل للعالم... نعم كل العالم تحول إلى صندوق عجائب لا يعرف فك أسراره إلا من له أكواد.
لكن من سيفتح لي هذا الكتاب؟
من؟ من؟ من؟
في الأول كان سؤالي مغرقا في الذاتي
لماذا أنت متحيرة أيتها الحائرة بين نعم ولا؟
الآن اتخذ الكلام منحى آخر يتحدث عن عالم تحكمه أرقام، وأرقام تفتح وتغلق، بين الرقم والرقم حيرة الحيارى، شعوب حائرة، سياسات أكثر حيرة من الحيرة، الأرقام تصنع حروبا، الأرقام تضع نهاية للنزاعات، أرقام تُغني، وأرقام تُفقر، الإنسان رقم، وعواطفه رقم، ومزاجه رقم، ومصلحته رقم، وعقيدته رقم، الحيرة تصنعها الأرقام التي نعيش تحت رحمتها.
«مالك» يا أنا غيرت خطابك؟
أنا لم أغيّر خطابي يا أنا، الذي غيّر الأنا هي الأرقام.
(توضح أمام المرآة)
هل تعرف أيها الكتاب أنك رقم؟
هل تعرف أيها الإنسان أنك رقم؟
هل تعرفين أيتها العواطف أنك رقم، هل تعرفين أيتها الأرواح أنك رقم؟
أيتها الأرقام أنت أرقام
أنت في الأمن والأمان أرقام، وفي الحروب والكوارث أرقام.
أنت أرقام تحصي عدد ضحايا المرض والأوبئة والهجرة والمهجرين،
الجهل أرقام
المال أرقام
الفقر والبؤس أرقام
والثراء رقم من الأرقام
وأكواد التجسس الذكي على الناس والمؤسسات والزعماء أرقام
الخيانة أرقام...والمتعة أرقام
الأرقام تحكم الأرقام
الأرقام تحكم العالم.... وأرقام تريد أن تتحرّر من الأرقام
إسمعي يا أنا إن الأرقام صارت لغة حوار قوية في عالم حيرتنا، هي تخدعنا بلمعانها، الأرقام اقنعتنا ألا حقيقة إلا حقيقة الأكواد وكلمات السر والأرقام في كل الصور....
فهل يمكننا الآن أن نفهم حيرتنا؟
ها هو الكتاب الذي كتبه من فكّر بنفس التفكير من بداية الخليقة إلى الآن سيبقى مطويا على حياته الخاصة إلى أن نجد الرقم السري لفتحه لمعرفة من نكون في عالم المتاهات والحيرة ...عالم الأرقام.. علم الأرقام...عالم الزمن الذي طورته التقانة فغابت فيه إنسانيةُ الإنسان.
هيا يا أنا رجاء أتركيني يا أنا أبحث عن حقيقة ضاعت مع كثرة الأرقام، ضاعت مع كثرة الأكواد التي حولت الحياة إلى رقم من الأرقام، وحولت حيرتنا إلى حالة من حالات القلق الذي يبحث عن رقم سري لفهم العالم فينا وفهم العالم الزئبقي من حولنا. دعيني... دعيني.... لا تتركيني وحيدا مع أسئلتي في هذه الكينونة الحيرانة، إننا كلنا حيارى.... حيارى مع أرقام تعيش في متاهات الحياة.....

مكناس في 26 ـ سبتمبر 2023

علال الحجام

حوقلة

(1)

كيف لي أن أطرّزَ خرقةَ أشجانٍ
تتناسل في الأعماق على ورقٍ مقروح
إنْ تحرّقَ في جمرها القلمُ؟
هل أغالبُ نفسيَ يا نفسي؟
حسناً ، فالصمتُ يبوحْ؟
ليكنْ:
لم أنتبه إلا في صباح السّبت
لعقربين توقفا
في الساعة 11 و01 دقائق
ليلة الجمعة ،
هل اختلّتْ نبْضاتُ الزّمنِ: تيكْ
تاكْ...؟
وهل أطفأ العقربان فوانيسَ كشفهما؟
تيكْ: حركة تنتظرُ الصّدى... ...
والوجوم كسيرٌ ،
وما كان يرقصُ أمس
ويزهو به في سفينتَه النّغمُ
ضاع في مهمهٍ غيرِ مَؤتمنِ...

كسماء رمادية قدْ أضاعتْ طنافسَها ،
الرّبوةَ التي كانت تكسو القُرى أطرافَها
تنام الآن في العراء ،
مثل جبّانةٍ ما احتجبتْ بحُجُبِ قبورُها ،

هذا العراءُ عار من أنفاسِ أهلِه
ومن أنفاس الزّعتر ،
تغطيهِ سحابةٌ من الأرواح:

عارٍ في وحشته خمُّ الدّجاج.

وعارٍ كوخٌ سقفُهُ كفَّنَ
الجدَّ والأختينِ والحفيدْ.

وعارٍ مُقْعَدٌ
كرسيِّ لا يسعفْه على الهروب عالياً إلى البعيد.

عارٍ فتى وسيمٌ تركَ العباءةَ البيضاءَ في الحمّام
لم يعرفْ كيف ائتزرَ منديلَ أختِه الوسيع.

عارٍ من ارتدى طيفُ الحبيب عقله ،
هَل اكتوى
وقصدَ الخلاءَ
ناسياً جلبابَهُ في العتبة
كي يطمئنَّ في الدّجى على أريج شوقِه
يضوعُ سرّاً في حديقة الجوى؟

عاريةٌ حقولُ الزّعفرانِ من أصباحها ،
أيروسُ لا تردَعُهُ شمسُ ظهيرة غَرثى ،
هل ينثني عن رقصِه المشتعلِ؟

(2)

لا تعرفُ الخزامى
أيَّ يدَ عجَنتْ
في اللّيلِ شراسَة كابوس عات
قدْ لفّ زَنْبُرْكَ الزّمانَ بالسّخَامْ ،
ولا كيف تحلبُ كفا البَسيطة
سرَّ الجهامة

من ضرْعِ عنقاءَ تُرغي
إذا ما هوتْ قُببٌ يرتديها الغمامْ؟
هل تنفّستِ الأرضُ
حقداً
لكي تستطيبَ البُزاةُ معاءَ العبادْ؟

كَفَى حشرجةً أيّتها الدّموعُ ،
ما أحوجَ اليتمَ لماءٍ تلاطفُه
سنبلة.
لتبسُطي الأكفّ أجنحةً
يهدهِدُ رياشَها النسيم ،
ولتحفري بالنبضِ في الزّمان الصّلدِ
نفقاً إلى غد ينسى عاداتِ أمسِه ،

كلُّ ما في الأمر أن نائماً على سريرٍ وثيرٍ
في رحمِ الكوكب المتجاسرِ في دِعةٍ
على حَين غرّة صحا ،

لا تسألي عما جرى ،
ربما آن الأوانُ
ليخلوَ من أهلِ الخارج المكانُ
عسى الأشباحُ يخرجون راقصين.

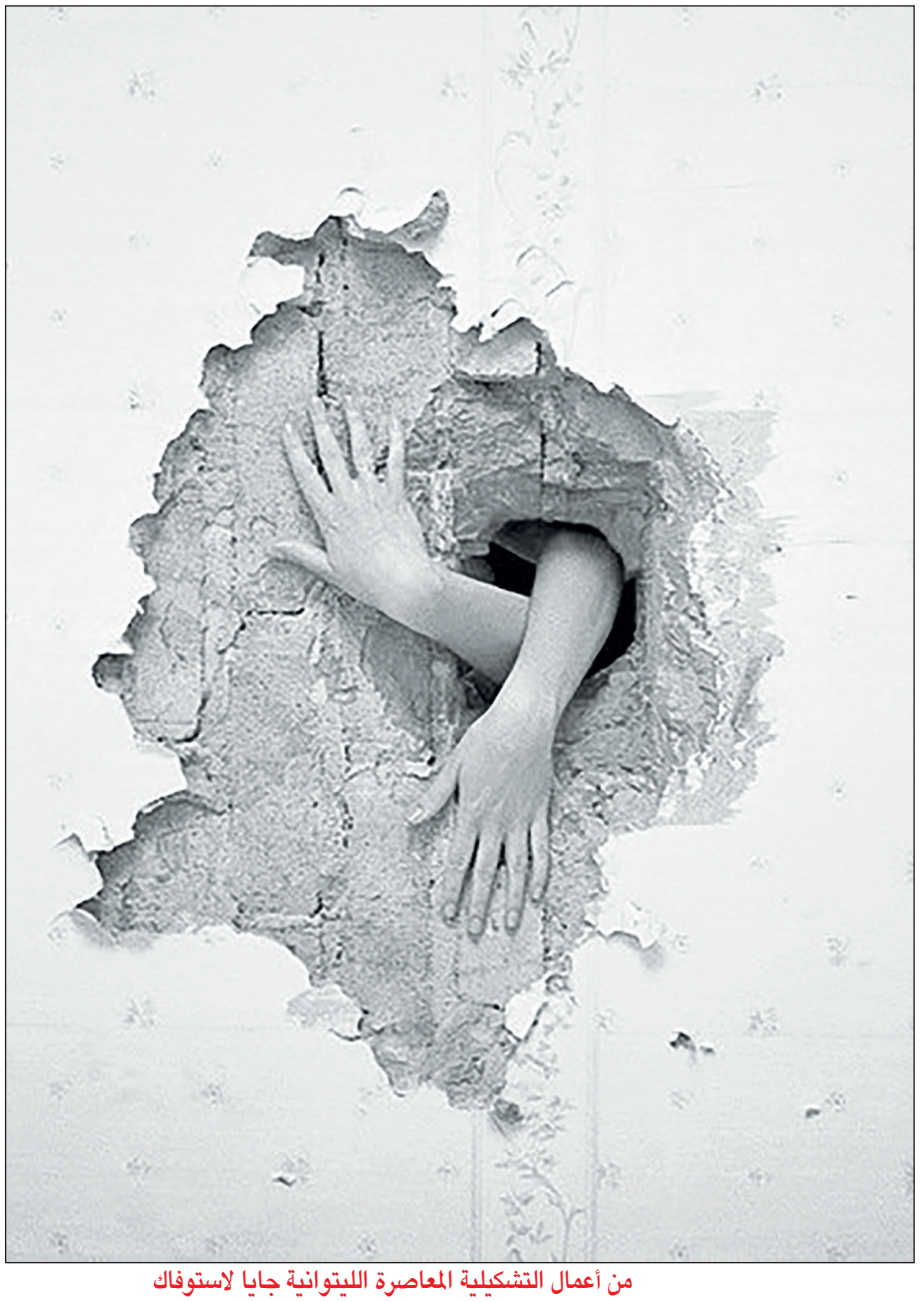

من أعمال التشكيلية المعاصرة الليتوانية جايا لاستوفاك

ربّما رانَ في الأعماق الصّممُ ،
ولم يسمعْ صلاةَ الملائكةِ الماردون:
أحياءُ.. نعم أحياءْ..

ربما شغلتْهم حروبُ القبائل
في الجهة الأخرى يسارَ الغياب

عن أغاريدَ تنبجسُ
من شحوبِ الصّدى:
نعم أحياءُ.. أحياءْ..

ربما انشغلوا بتباريحِ الرّدى
خلف اهتزازاتِ السّرابْ
عن ترنيمةٍ شجيّة
تتلوّنُ حرباؤُها في دغلٍ خريف
فاسّاقطتْ متعبةً أوراقنا
سابحةً في جدولٍ ظامئٍ
هو ما تبقّى
من صلةٍ بين يأسٍ ورجاء.

(3)

غيمةُ الحزن أكبرُ من دمعة تتعالى الصّواعق فيها بحجم المحيط... إذَن ، كيف للجرحَ لما كواهُ انكسارٌ وصال انهيارٌ عليه وبارزَهُ الضّيمُ قهراً وبتراً ، ورعباً يفاجئ غفلة عينيه ألا ينز صديدُهُ؟ هل ينثني عن تألّمه حين يهجُمُ عشرون قرشاً على دمه. هل يؤاخذ خافقَهُ إنَ تجلّد ، أم أنّ جرحَ التّرابِ مجرّدُ لمسة قشٍ على حجَر؟ كيف للعين أن توقف الغليانَ وهي تشاهدُ ما يستزيدُ تفجّعَها:

جروين نباحُهما جارحٌ
يتشمّمُ رائحةَ الأمّ ،
أثداؤها تحت الأنقاضِ
يصيبُهما بالدّوار حليبٌ تخثّر فيها ،

طفلاً يؤانسُ وحشةَ دُجنتهِ بأهازيجِ جدّته
قبل أن تفتح فراشةٌ نافذةً
لبسمة تفتلُ حبلَ السّلالة بين الصّخور،
عسىً عبقُ الحبّ يحملُ قلبه يوماً إلى عدنٍ
ولتكتمل الأغنية ،
لا بد من فردة تختفي في الحصى
لمواصلة الخفّ إيقاع رحلته المضنية ،

معلّمةً قاومتْ شظايا الفقدانِ ليلتين
بكحلِ الأمل ،
لم تجدْ في صباح اليوم الثّالث
من أفراخها في العشّ المتناثرِ
إلا دفاترَ ممزقةً
تخزنُها في عبّها
سّبورةً سوداءُ مخافةَ الفناءْ.

سدرةً طمرتْها الحوافرُ في المُنتهى
واطمأنّتْ على قطعِ دابرِ أوصالها ،
فإذا بالمحبّة
تنتشلُ الرّوحَ من سطوةِ العدَم ،
سحبتْ يدَها في الرّكامِ إلى فجوةٍ
وتقرّتْ خطاها المسالكَ
نحوَ مراقي الضياءْ ،

(إنها عادةُ الماءِ يَشْرُفُ
إنْ عجزتْ عقباتُ الحرائق
عن منعِ أفراسِهِ من معانقةِ القممِ العاليات
فتخضرّ أنفاسُهُ
حين يحنثُ في الرّبوات وعيدُ الهباءْ)...

رحى عاثَ الزمانُ فجأةً بشدْوِها ،
عاشقةً تحضنُ عاشقا كانتْ
قبل انفصالِ الجذْعِ عن جذورِهِ ،
لحبّها نارٌ تثلجُ قلبَها ،
فمنِ يعيدُ
عيدَها الثّاوي إلى غدٍ غدا
مضّرجاً بدمها؟
ها حفنةٌ من الشّعير حولها منثورةٌ
وليمةٌ تولُها دجاجتانِ
ترثيان
حالَها عجلتينْ
وتتركانِ للأسي مُحَوْقلاً
من الوعودِ بيضتين...

امرأةٌ ثكلى في قبضة تيهٍ
تبحثُ عن عُمُرٍ هاربٍ
في مكانٍ لم يعدْ محفّلاً
كانَ يوماً يعجّ بأعراسِهِ
لم تجدْ من لهاثه
بين كسورِ المواعينَ غيرَ الغبار:
ذهبَ البعلُ فارعاً كأرزةٍ صفصافةٌ
ذهبَ الأولادُ الأربعةُ كلّ واحد
تبزّ الأخريات خضرةً
ذهبَ ما يحصُدُهُ الصّيفُ لبيدرِ الشّتاء
ذهبتْ كرمةٌ
طالما أنستْ لمّةَ الشّاي قبل الغروب ،
وكبرتْ أسئلةٌ تنثالُ من أوصالها ، مُتّسعٌ ضبابُها في طُرُقِ المستقبَلِ ،
ظلّتْ تبحثُ
في أخاديد الخراب ها هنا
بين شروخ نفسِها عن بصماتِ نفسها.

(4)

سيّان أن تشمتَ صاعقةٌ بالجرحِ ،
أو يرقّ دوريٌّ محوقلاً
على جندولٍ كالزلزالِ قاحلٍ
ويقطفَ أزهارَ حُلُمٍ.
وهنتْ سيقانُ الغابِ
وما عاد يقوى
على حملِ أوصابِ الأركانة عكّازٌ،
فالموتُ كامنٌ هناك خلف واحة جرداءَ
في نهايةِ الحداءْ،
والموتُ كامنٌ هنا أقربُ من حبلِ الوريدِ
خلف موجةٍ سامقةٍ أو موجتين
يَرْثي لحالِ قاربٍ يركبُ دهراً ظهرَ حوتْ

كلما حرنَتْ خياشيمُهُ ارتعدا ،
وكلما داعبَ طوداً تحتَهُ
تداعى هيكلٌ لهُ
واستسلمتْ أجراسُهُ للرّيح ،
لم ترحمْ دعابةَ سكينة
في مقصفٍ خلفَ مجانيَ مسحب
ولا دعاءَ نَاسكٍ في خلوةِ الدّرويش قد تهجّدا...

(5)

أيتها الحُمَى بربّكِ اعذري سذاجتي ،
هل كان لا بدّ أنْ يلطمني
جنونُ المشيمةِ بالجمراتِ والحَجَرْ
لأعرفَ أنّ سَراباً يرابطُ
خلفَ كثيبٍ تجاوزَ حدُّهُ يَخجلُ من سرّه ،
وأنّ رسالةً مرسومةٌ على الرّمال
ممحوّةٌ في عُرفِ الرّيح والمطرْ؟
وهذه مئذنةٌ
لم يَعتمرْ جامورُها سوى آياتِ ربِّهِ
تهوي أمامَ نجمةٍ
ضاحكةً تستعرضُ عجيزةً ، لم يَسلمْ
من طاعونها الماحقِ رَفُّ الكتُبِ
ولا المحرابُ
واللّوْحاتُ والصّلصالُ ،
ولم تسلمْ محبرةٌ تنوّرَتْ
بما يزينُ حبرَها ،
ولا أقلامُ قصبِ.

عبد المجيد فنيش:
تلويحةُ الصّباح الأولى...

مراد القادري

مُنذ أزيدِ من عقد من الزمن، وأنا أجالسُه ويُجالسني في موعد صباحيٍّ، حيث نتناول معًا وجبة الإفطار في مقهى سلاويَ بسيط، اخترناها لتكون المسرحَ الذي تدورُ فيه أحاديثنا، التي تبدأ بجديد المشهد السياسي، لتنتقل، بعد ذلك، إلى القضايا التي تربطنا ببعض، أيْ قضايا الثقافة والأدب والفنّ.

هل تعني هذه المقدّمة أنّ علاقتي بعبد المجيد فنيش تعودُ لعشر سنين فقط؟

لا. بل هي أقدمُ من ذلك، وهناك أكثرُ من آصرة تجمَعُني بعبد المجيد فنيش، الذي انتبهتُ، باكرا، إلى حُضوره في فضائي الشّخصي. فقد كان يعبرُ، صباح مساء، بجوار بيتنا بالزاوية القادرية، الواقعة بمحجّ زناتة. وهو المحجّ الذي يتعيّنُ على كل واحد يقطنُ خارج أسوار باب شعفة أنْ يعبره للولوج إلى المدينة العتيقة لسلا.

في تلك الفترة، من أواخر سبعينيات القرن المنصرم، تعرّفت على فنيش، الذي نادرا ما كان يعبُر الحيّ لوحده، فقد كان، دائما، مصحُوبا بجمْهرةٍ من الشباب. سأعرفُ لاحقا أنهم فرقةٌ مسرحية، وأنّ ذهابهم وإيابهم جماعة، إنما بهدف القيام بالتداريب التي يستوجبُها العمل المسرحي.

أذكرُ مرّة، أنّ عبد المجيد فنيش، وهو يعبرُ شارع زناتة، لاحظني مُمسكا بمجلة» أقلام» التي كان يُصدرُها، آنئذ، محمد برادة، فتصفّح العدد، واسترعت انتباهَه مسرحيةٌ منشورة ضمنه، فطلب منّي أنْ أعيره للنسخ مُتعهدا بإرجاعه.

و لأن العدد من المجلة المذكورة لم أسترجعْه لغاية كتابة هذه السطور، فإنني سأعودُ للحديث عن عبد المجيد فنيش، الذي أتقاسمُ معه، يوميا، فطور الصباح. إذ لأكثر من عقد من الزمن، ونحنُ- الاثنين حريصيْن على هذا الموعد، الذي نفتتحُ به صباحاتنا، قبل أنْ يختار كلٌ واحد منّا وجْهته، مُعلنا بذلك بدءَ يوم جديد. كأنْ يتّجه عبد المجيد فنيش، عبر القطار، إلى مدينة الدار البيضاء، حيث طلبتُه في المعهد العالي للصحافة والإعلام ينتظرون مقدمَه للاغتراف من خبرته ومعارفه التي راكمها في قطاع الإعلام، هو الذي تخرّج من المعهد العالي للصحافة بالرباط في أوائل الثمانينيات من القرن الماضي، ليَعمل، لاحقا، في مواقعَ مُتعدّدة، داخل وزارة تنوّعَت مُسمّياتُها، فهي تارةً وزارةُ الأنباء، وتارةً أخرى وزارة الإعـلام، أو الاتصال. على أنّ عبد المجيد فنيش لم يكنْ ليكترث بتلك التغييرات التي تمسّ بيتَه الوظيفي، فما يهمُّه هو منْح حُضوره المهنيّ ذلك البُعد الثقافي والفنّي الذي لا غنى عنه لأيّ فعْل إعلامي ناجح. لذلك، فلا غرابة، أنْ نرصدَ له حضورًا مُميّزا كلّما تقاطع الوجهان الإعلامي والفنّي في مُمارسته، سواءٌ من خلال البرامج التي أعدّها للإذاعة المغربية، أو من خلال مُشاركاته الكثيرة في البرامج التلفزية، أو ما لاحظناه مُؤخرا من خلال حُضوره في مواقع الأنترنيت. وهُو ما يكشفُ عن إيمانِ الرجل وقناعته بضرورة استثمار كل وسائل الإعلام (إذاعة، تلفزة، صحافة ورقية، أنترنيت...) من أجل أنْ يقولَ كلمتَه. تلك الكلمة التي آمن بضرورة غـرْسها في تُربة مَشهدنا الثقافي والفنّي والإعلامي، منذ أنْ تشابكت انشغالاتُه المبكّرة مع أفق الثّقافة والفنّ.

لقد انتبه عبد المجيد فنيش، باكرًا، من خلال حِسّه الإعلامي، إلى ضرُورة جعْل الإعلام بمُختلف صنُوفه وأشكاله مَعْبرا للثقافة ووسيلةً لوصولها إلى الناس، لذلك لم يدَّخرْ جُهدا في استثمار كل ما يتيحُه الإعلام ليكوَنَ في خدمة الفنّ والثقافة المغربية، خاصّة في اللحظاتَ التي تنتصرُ فيها لمظاهر التنوّع والتعدّد التي تتميزُ بها، وللأنماط التي تزخرُ بها، وللروافد التي تُشكّل لُحمتَها. لذلك فقد لاحظناه يُخصّص، خلال مسيرته التي امتدّت على مدى أربعة عقود، عنايته، ويُولي اهتمامَه لفنون القوْل الشّعبي من ملحون، وعيطة، ومـــأثـــور شفهي، وطرب أندلسي، ومديح وسماع صوفي، ولكلّ ما هو مُلتصقٌ بالوجدان الشّعبي.

ولنا هنا أنْ نذْكر كيف أنّ عبد فنّيش عمل على استعادة:

أيقونةُ الغناء العصري المغربي الحسين السلاوي، من خلال مسرحية «ديما معنا» التي أنجزها لفائدة القناة الثانية، وهي المسرحية التي تحكي محطات من حياة هذا الفنّان الذي يُعتبرُ صوتَ وضمير مغاربة منتصف القرن الماضي، حيث نجح في التعبير عن أفراحهم وأتراحهم، من خلال ما قدّمه من أغان عكست الوجدان الشعبي بنبرة ساخرة مرحة وبألحانً مُستمدّة مَن عُمق الواقع المغربيّ الأصيل؛

فنُ العيطة من خلال مسرحية «عيوط الشّاوية « المقتبسة من رواية «شجرة الخلاطة» للروائي المغربي الميلودي شغموم، والتي ألّفها عبد الإله بنهدّار، وهي المسرحية التي حرص فيها فنّيش على الانتصار لفنّ العيطة، لرجالاتها ونسائها، أيْ « الشيخات»، مؤكدًا، من خلال فُرجة مسرحية جابت ربوع الوطن وخارجه، دورهُن في مُجابهة الاستعمار، عبر ما أنشدنه من أشعار شعبية تُذكي الحماس وتدعو للكفاح والمقاومة، فيما هي تضمنُ لهذا الفنّ استمراريتَه في الوجدان المغربي؛

على أنّ أهمّ ما يُسجّل للفنان عبد المجيد فنيش هو الدورُ البارز الذي قام به لتنشيط الدورة الدموية لفنّ الملحون، من خلال استعادته وبعثه، من جديد، على خشبة المسرح. إذْ استطاع، في هذا الصدد، أنْ يقدّم عددا من المسرحيات، أحيانا من تأليفه (خمس ليالي في حضرة الجيلالي، ملحون الوفاء، إشراقات ملحونية، كوكتيل شهرزاد، الديجور الديجور)، وفي أحايين أخرة من تأليف مُبدعين آخرين، حيث الهاجسُ الأول تقديم فُرجة مسرحية، مُعتمدا في ذلك على هذا المتن الشعري الباذخ، مُتكئا على عوالمه وموضوعاته، ومُستفيدًا من أجوائه ومناخاته، وفق رؤيـة حديثة ومُتشابكة مـع أسئلة الراهن وقضايا العصر. لذلك نفهم سـرّ النجاحات التي تحقّقت لهذه الأعمال المسرحية، لأنها حملت في ثناياها أجوبة على عدد من الأسئلة الاجتماعية والثقافية والتربوية التي يعيشُها الفردُ اليوم مشرقا ومغربا.

في هذا الإطار، يمكنُ لي أنْ أشير إلى أنّ أول عرض مسرحي شاهدتُه لعبد المجيد فنيش كان في أواسط الثمانينات من القرن الماضي، وهو «خمسُ ليالي في حضرة الجيلالي» بقاعة سميّة بالرباط، فيما آخر عرض مسرحي كان هو « يا زمان الملحون» وكان ذلك بالمسرح الوطني محمد الخامس. والعرضان معا، استنطاقٌ لسّجل الملحون واستغوارٌ لعوالمه المترعة بالحُلم والسّؤال، بُغية تقديم

رؤيـة حديثة لعالم اليوم. بـين هذين العرضين، تابعتُ عبد المجيد فنيش، ليس في حركاته فحسب، بل حتى في سكناته، أيّ خلال تلك اللحظات التي يركنُ فيها إلى «عظامه». يتأمّل، يُراجع، يُفكر، يُفلسف مساراته والأقدارَ التي ربطت عالمه بعالم الفنّ، متفائلا أحيانا، متشائما، في الكثير من الأحايين، من حاضر ومُستقبل الثقافة في بلادنا.

تابعتُ، كذلك، أدوارا أخرى نهض بها الرجل، في عوالم الإدارة الثقافية، من خلال تأسيسه لعدد من المهرجانات الثقافية وإدارتـه لبعض الفعاليات المسرحية والتراثية، لعلّ آخرها مهرجان الإمتـاع والمؤانسة بمدينة سلا الذي ضمن له خلاصة تجربته في مجال فنون القول الشّفهي والمأثورات الشعبية.

ويُمكنُ لي أنْ أزعـم أنّ عبد المجيد فنيش خلال كل المحطات التي عبرتَها مسيرتُه الفنية والإعلامية، وكذا الأدوار التي نهضَ بها في حياتنا الثقافية محليا ووطنيا، أو المهمّات التي اضطلع بها في مُؤسسات المجتمع المدني، كان صوتا مميّزا وإيجابيا وقادرا على لفْت الانتباه لوجهة نظره ولآرائـه التي كانت تخدمُ القضايا التي يترافعُ عنها ويدافع عنها. كلّ ذلك من موقف المثقف العضوي الملتزم بهموم وانشغالات الناس البسطاء.

في جلْستنا الصبّاحية، كثيرا ما أستدرجُ عبد المجيد فنيش لفنّ آخر، أعلمُ جيّدا أنه يسْتعذبُه. إنه موسيقى الآلة، التي يعرفُ نوباتِها وميازينَها، أشعارَها وأزجالَها، موشّحاتها وبراولَها. لذلك فما إنْ أدنـدنُ بالجَملة الأولـى، حتى يفيض عليّ بـردود شجيّة متجاوبًا مع اللحن والكلام. و لا غرابة في ذلك، فعبد المجيد سليل دوْحـة موريسكية عريقة، مُمتدّة جذورُها في بلاد الأندلس، وهو ما يشفعُ له الارتباطَ والحنين بهذه الأراضي التي شكّلت موطنا أصيلا للتعايش و التسامح، و أرضا للتفاعل بين الثقافات والـحضـارات، إذْ منها جـاءت الفنونُ والعلوم، ومنها وفَدَ الزجل، هذا الذي أحْسبُ اليوم على عشيرته و قبيلته. و ربّما لهذا السبب، فإنّ عبد المجيد فنيش يُعدّ أحد أهم العارفين بفنون الزجل، سواء سُمّيَ ملحونا أو شعرا عاميّا أو شعبيا، فهو عندما يتكلم في هذه الصّنوف من القول الشّفهي المأثور؛ أو في شعر الزّجل الحديث ممّن يكتبه شعراء مُعاصرون، فإنه يُمتعُ و يؤنس، وذلك لأنه يشترك مع الزجل في وحدة النسب، فهما معا طالعان من بلاد الأندلس.

في ختام هذه الكلمة، لا يسعني إلا أن أقول لجليسي الصباحي، الذي به يزدانُ الفطور ويحلو الحديث: شكرا لك عبد المجيد.

أمّا العدد إياه من مجلة «أقلام»، الذي لم أستعيدُه منك، فقد كان هديةَ صداقة ما تنفكُ تتواصلُ حلقاتُها منذ ذلك التاريخ البعيد الغارق في لهيب السبعينيات، إلى تلويحة الصباح المشترك والمشرق بين طاولتينا في مقهانا السلاوي.

صناعة الخوف: الإسلام والغرب

متابعة: ياسين حكان

عن المركز الثقافي للكتاب بالدار البيضاء، صدرت أخيرا الترجمة العربية لكتاب «صناعة الخوف، الإسلام والغرب» للمفكر المغربي عبد الله بوصوف، تقديم وترجمة للمؤلف الباحث عياد أبلال.

ويأتي هذا الكتاب في سياق تنامي خطابات معادية للإسلام والمسلمين في الغرب عبر ما يسميه المفكر بوصوف (صناعة الخوف)، على اعتبار أن هذه الصناعة هي صناعة ثقافية وسياسية بامتياز، فلم تعد الحروب تدار بين الدول والأقطاب المختلفة، بل أصبحت تُدار بين الشعوب نفسها عبر الإعلام والسرديات من خلال تصريف مواقف سياسية وأيديولوجية معادية للمهاجرين وبالأخص المسلمين في الغرب، المتشدق بقيم الحداثة والفردانية وتراجع القيم الجماعية أو الجماعاتية (*Communautaires*)، بالموازاة مع تنامي صعود التيارات اليمينية في أوروبا.

وبالنظر إلى مشروع بوصوف الفكري والأكاديمي، يشكل هذا الكتاب فارقا في التحليل والتفسير، وكونه غير مؤسس على منهجية علمية فحسب، بل يتخذ من التاريخ والسرد مسلكا له، لتفكيك ما أسماه السرديات الكبرى للغرب تجاه الإسلام والمسلمين.

وجدير بالذكر، أن المقاربة التي اعتمدها الكاتب في مؤلفه غير مسبوقة وجديدة، تتخذ من التفكيك طريقا لها، مستحضرا بذلك مختلف العلوم الإنسانية في مقاربة تلك الخطابات، ومعتمدا بالأساس درس العودة إلى التاريخ وبالتحديد التاريخ العلائقي، لفهم المغزى من هذه الخطابات المعادية للإسلام والمسلمين، وما تستبطنه من سياقات وأفعال ترسم السياسات الغربية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، ليستفيد الكاتب بذلك من تجربته الغنية في الغرب عبر مدار عشرين سنة من النقاشات والعمل الجمعوي والنضال الثقافي، في فك لغز هذه الصناعة، إذ حسب الباحث نفسه، لم تعد خفية على كل باحث جاد، له إلمام بتاريخ الحضارات وحوارها، ولا غرابة أن نجد المفكر بوصوف في هذا الكتاب يكشف الأقنعة وينزع الغطاء عنها وينتصر للحقيقة عبر العودة إلى الخطابات المؤسسة للمركزية الغربية.

إن استدعاء مفاهيم من قبيل الدين والتدين والإسلام والغرب والهوية والحداثة والعلمنة والعنصرية والاقتصاد، تبدو للوهلة الأولى متباعدة وغير مرتبطة فيما بينها، إلا أن المؤرخ بوصوف في هذا الكتاب يوضح كيف تتداخل هذه المفاهيم فيما بينها وتنتسج لتنتج لنا خطابا معاديا للإسلام والمسلمين؟ وكيف يعمل العقل الأوروبي عبر الإعلام في تصريف هذه المواقف المعادية للإسلام والمسلمين؟ عبر تضييق الخناق على ما أسماه مساحات الدين والتدين، وأن العلمانية الفرنسية على سبيل المثال هي علمانيات، تُكرِّس لمبدأ التسامح مع كل الأديان وكل الأعراف والتقاليد إلا الدين الإسلامي، عبر الإعلام والتلفزيون والقنوات الغربية التي تروج للخطابات المعادية للإسلام والمسلمين في الغرب.

ويشير بوصوف في موضع آخر أن وسائل التواصل الاجتماعي وسعت من دائرة هذه الصناعة، أي صناعة الخوف، عبر تشويه صورة الإسلام والمسلمين في الغرب، ضاربا بذلك عرض الحائط، قيما كونية كالتسامح وقبول الاختلاف والتعايش مع الآخر.

وبذلك، يسائل المفكر بوصوف، النخب المثقفة في الغرب والشرق، ومن ثم يسائل الضمير العالمي وبالأخص الضمير الأوروبي، حول مساهمتهم في انتشار هذه الصناعة البئيسة، متجاوزا بذلك فكرة صراع الحضارات القائمة على فرض النموذج الأقوى، بل يؤسس لقاعدة جوهرية تتمثل في أن هذه الصناعة تتم وفق أجندات معينة، تعمل على ذم الاختلافات الثقافية وضرورة على تنميط العالم على نموذج غربي معين.

بناء على ما سبق ذكره، يتضح أن المفكر بوصوف في هذا الكتاب القيم، يذكر الغرب والعالم بنفس فكرة الفيلسوف الألماني ماكس فيبر عبر مفهومه الجدلي «عودة السحر للعالم» (*Désenchantement du monde*) أي العودة إلى الدين، أي أن بوصوف يدعو إلى فتح باب الحوار والترافع وكشف مختلف الأقنعة وفضح السرديات الغربية المؤيدة لخطابات الكراهية للأجانب وبالأخص المسلمين في الغرب، وهذا بالأساس نداء فكري معرفي بغية تجاوز كل ما يعرقل بناء نماذج حضارية قادرة على إدماج المسلمين في أوروبا، ومراعاة خصوصياتهم الثقافية والدينية والاجتماعية.

ترجمة: دة. سناء درغموني

صَدَرَ ت أخيرا الترجمة الإيطالية، لديوان «فكرة النهر» للشاعر المغربي حسن نجمي، وذلك عن دار نشر أستارتي (etratsA) في إيطاليا.

وقد أَنْجَزَت الترجمةَ من العربية إلى الإيطالية الدكتورة سناء درغموني، وهي أديبة وباحثة مغربية تقيم في مدينة بُولُونْيا.

وهذا رابعُ كتابٍ شِعْريٍّ يصدر لحسن نجمي في لغة دانتي بعد : «المُستَحِمَّات»، «ضحكةُ الخيميائي»(أنطولوجيا شعرية) و « على انفراد».

أما بالنسبة لـ» فكرةُ النهر»(emufi id aedi'l) فهو ثاني ديوان تترجمُهُ دة. سناء درغموني للشاعر حسن نجمي بعدَ(على انْفِرَاد) ، وهو يَصْدُرُ أيضا ضمن منشورات دار نشر أَسْتَارْتِي في مدينة بِيزَا (سبتمبر 3202).

جاءت ترجمة الديوان في أكثر من 003 صفحة، مزدوج اللغة (إيطالية / عربية) بتقديم كتبته الشاعرة الإيطالية روسيتا كُوبّيُولي (iloipoC atisoR)، هذا نص ترجمته..

تذوب الأسطر الشعرية في نَثْرِ الأناشيد

بقلم: الشاعرة الإيطالية رُوزيتَا كُوبّيُولي

وحدهُ شاعرٌ واسعُ النَّفَس وصاحبُ رؤية مثل حسن نجمي يمكنه أن يتصور عملاً مخصوصًا بالكامل للنهر. تحدٍّ استثنائي لذلك التواضع الجليل الذي يأتي من التفاني في الواقع، القادر على رؤية مادته وفهم جوهره المادي والروحي، في كل تكوين ملموس ورمزي. هل يمكن لنهر حقيقي أن يصبح الرَّمْزَ، الفكرَةَ، الشخْصَ؟ أجل، بالنسبة لهوميروس، إن سكاماندرَ إله: في الإلياذة كان يجلس في مجلس الآلهة ويوبخ أخيل بغضب لأنه ألقى بالكثير من جثث الشباب في مياهه، ولم يوقفه إلا هيفايستوس بوَابِلٍ من نار؛ أعطى هيكتور اسمه لابنه.

لكن لا يجرؤ أحد اليوم على الوصول ذهنيًا إلى قوة رؤية هوميروس، وَإلى قدرته على إعطاء صوت جديد لأسطورة النهر. وحده من يمتلك ثقافة واسعة ومعرفة أكيدة بأعماق الرغبة، وبالمشاعر والطرق المتعرجة للروح المحتوية على كل شيء وهي كل الأشياء - روح أرسطو **quodammodo omnia** - يمكنه أن يجعل موضوعة واحدة، بل من استعارة واسعة كهَذه، حرة في الانتشار في اللانهائي، وبالتالي أكثر تقيدًا، الدَّليل بامتياز: التفرع في تعرجات الخيال القادرة على تحويله إلى أنسجة، دون استهلاكها بالكامل، واستخلاص الحقيقة من التاريخ العام والخاص، وفي الوقت نفسه القفز إلى تلك التنوعات الرائعة، وأحلام اليقظة التي لا نهاية لها، للفكرة ـ الكلمة ـ الموسيقى، التي تجعل من كتاب شعْرٍ كهذا عملاً سيمفونيًا.

بأي جَرأَة وَنَضارَة يمكن لِشاعرٍ من شعراء اليوم مثل حسن نجمي أن يطوِّق كتاباً كاملاً حول «نهر/حياته» برغبات لغة متواضعة ومذهلة، وكأن مياه هذا النهر، المولودة من قطرة واحدة، تحتوي على كل أنهار العالم كما لو انسكبت وذابت في وريده ؟ يجب أن تكون لنا حواس روحية، وأنا فعلا تأثرتُ به بعمق. في الغرب ومنذ زمن طويل، تحلق أجنحة التأمل والتملي السريعة التي أحبها على ارتفاع منخفض جدًا، دوائر قصيرة

العقل يطبع كل شيء، وهكذا إذن يكون أخدود النهر في الأرض، وفي الرمل، وفي الصخر: المسائلة المجهولة ذاتُها التي تَمَلَّكَتْ حياةَ حسن نجمي، أصلٌ و مرآةٌ، كما يوحي اسم إدمون جابس في الاقتباس الأول. لقد تلقى هذا اليهودي الإيطالي تعليمه في المدارس الفرنسية وترعرع في مصر، مثل أونغاريتي: تقاربُ فريدٌ في الثقافة المختلطة والبدوية، بين إفريقيا وأوروبا. يحمل السؤال إلى عتبة الصحراء: المفهوم الأقصى للتجربة في المفارقة. فقط في طِبَاقِ الصُّوفيِّ الذي يفنى، يعرف النَّهْرُ حيث يَغْرَقُ: نَفْسَهُ. بينما تَحمل غنائية (La lirica) نشيد سابق، وقد أصبحت تنهدًا في حدادها على النهر الذي يخطَف، توقيعَ كلاريل أليغريا؛ صوتٌ متدفقٌ مُفْعَمٌ بالحيوية يحدد نغمة الموسيقى في الخلفية: وتر الشريعة القديمة.

على الرغم من الموضوع السائل، الدافق والمراوغ، فإن بنية الكتاب تتمتع بمعرفة عالية وتَمْنَحُه مساحته، فالمِعْمارِيُّ شاعر فيلسوف وتشكيلي، يخفي الإطار الأكثر صلابة في

كخيط ماء، خيط من رماد، غريزة جمر شاعر، نهر من العطش، من الألم، يجرؤ على قول «رأسي بارد وقلبي نار» عَبْرَ تصاعد التمزق بين المصب والنبع. لذا فإن هذه القصيدة ذات القوة المندفعة، التي أبهرتني واقتحمتني، جاءت كالبلسم، كالغذاء الحقيقي.

يشير العنوانُ «فكرةُ النهر»، والإهداءُ والاقتباسان لأول وهلة، كَشارَة للمسافر، إلى الرموز والحواس التي يدعو إليها. لا تقوِّد «فكرةُ النهر» إلى مفهوم مجرد، بل إلى النموذج الأفلاطوني. وكما يقول طيماوس فإن شكل

توازن رائع بين الخفة والجاذبية، في ثراء النظرة المتنوعة والتوافقات الدقيقة، التي تحافظ عليها القصيدة في جميع مستويات وجهة النظر وفي أسطر شعرية ذات إيقاعات متفكرة : متمايلة ومعلقة، صائتة وصامتة.

تذوب الأسطر الشعرية في الختام في نَثْر الأناشيد، لكنها تعيد رائحة الأبدية في الأسطر المنفردة والمنتشرة في الكتاب كله وكأنها تراتيل ذاتُ نَفَس واسع. أقرؤها بالترجمة الإيطالية الجميلة لسناء درغموني، أحسن مترجمة لنجميّ، والتي تتقاسم مع الشاعر أُصُولَه، وكانت قد ترجمت له ديوان «على انفراد وقصائد أخرى» الصادر عن دار النشر أستارتي مع تقديم ثمين كتبه جوسيبي كونتي. أَحْدسُ أن هذه الأسطر الشعرية تُلَمِّحُ إلى تصور قديم جدًا للزمن. وأفكر في ميتافيزيقا الحَرْف والبياض التي حملها أونغاريتي إلى إيطاليا من العربية بهالة سحرها المشع التي لم تكن معروفة آنذاك. كان مفهوم الزمن في الشعر. سواء الزمن الدافق، أو ذلك الأبدي الثابت الذي يردد المتدفق صداه. أدعو القارئ الإيطالي إلى التمعن في تصور الزمن الإسلامي الذي يستوعبه الشعر، وتخضع الموسيقى والإيقاعات إلى نماذجه، ويمثل الشعرُ جسْرًا يربطنا بها.

يقدم حسن نجمي في قصائده الأولى الرؤية الملموسة والمجازية لنهره، بُو رَقْرَاقْ، الذي يجري بين الرباط وسَلا، والذي يراقبه، خصوصًا في الليل، من الشرفة. تساءلتُ لماذا بعد الماء وبعد الليل، كانت كلمة (شرْفة) هي الأكثر تكرارًا في هذا الكتاب. نعم هي وجهة النظر الثابتة، التي تبدأ منها عملية الرؤية المطلة على النهر، في اتجاه مَصَبّ سَلا، ولكن ما ينتج عنها هو حركةٌ مستمرةٌ، تذبذبٌ، ذهابٌ وعودةٌ، جدليةُ انقباض وانبساط للقلب. لا يعرف كيف يخرج من نفسه، في انفصال موجود وغير موجود. يغيّر عدسة المَنظار باستمرار: من البعيد والقريب، من الأرحب إلى متناهي الصغر. يولد من الانغماس في المواد وامتصاصها والانصهار فيها - ماء النهر في النخلة، تلامس القدمان الماء من ذلك السرير العشبي الذي يحلم على الشرفة وعلى الضفاف – في ذلك ال»هناك» الذي هو «هُنا»، كالزمن: هُنَا والآن، بينما يتغير التدفق دائمًا ويتجدد كما تتجدد الشمس، على الرغم من أنها تبدو أزلا. تقدم الميتافيزيقا أزَلًا مبنيا على وعد بآخرة أبدية. لكن لا ننسى أن الفَوْرِيَّ والأبَدِيَّ ينصهران هنا. على الرغم من أن لحظتَنَا الحَادَّة كالنَّصْل، الأَرَقّ من شعرة، ليست لَنَا، إلا أننا نعلم أنها تلوح في الأفق بكل استعاراتها. الكتاب يحتوي عليها ويجعلنا نشتهي أن تكون قطرة النهر الأصلية هي لحظة الأبدية. حتى النهر يسعى إلى الأبد.

لكن ال»هُنَا» يَتَخَمَّرُ مثل نبيذ دعوات الحُبّ اللذيذ، بجانب العشب والأشجار والثغاء في نشيد أناشيد سري، حَيث عطَش النبع البعيد - «هذا النبعُ المُفَضِّضُ الحَالم» - يُغْني العَالَمَ بالقبلات. كان النهر قطرة تفيض بالدموع، كما يكتب سركون بولصَ. يسأله الشاعر العراقي إذا ما كان النهر الذي يرونه من الشرفة هو نهر آبائه. حسن نجمي لا يعرف، ذلك لأن الصحراءَ كانت هي حَيَاتَهم. تتجه أذهاننا إلى صور لا تمحى، إلى المزمور 137 ورثاء اليهود الذين يئسوا من العودة من المنفى: «على أنهار بابل هناك جلسنا، بكينا أيضا عندما تذكرنا جبل صهيون، على الصفصاف، في وسطه علقنا أعوادنا». لأن سركون الآشوري ولد في الفرات حيث كان اليهود يبكون، وفي الوقت الذي انقلب فيه الوضع، أقام البريطانيون قاعدتهم، وتم نَفْيُ العراقي من الأرض القوية سابقا والممزقة اليوم.

يتحدث هذا الكتاب أيضا بواسطة التلميحات عن المنفيين والصراعات والاستشهاد. نعم، من المفيد أن نعرف أنه بعد قرطاج وروما، إستقر الموريسكيون المطرودون من إسبانيا عند مصب سلا، وولدت بالتالي جمهورية قَرَاصِنَة ، حيث كان سكان بِيزَا وجَنُوَة والبُنْدُقية يشترون الصوف والجلود والأقمشة وَالسجادات والشمع وعسل مكناس، بينما كان المسيحيون والمرينيون يتنافسون على الميناء الفخم، وولدت سلا الجديدة، أي الرباط، على الجانب الأيسر الصخري. الآن بعد أن تم تصميم مسرح زَهَا حَديدْ الكبير في الرباط، وبعد أن ارتفع طوربيد جان نوفيل هناك، فإن الذاكرة الكورالية للمياه العمياء والتي «هي تاريخ» لا تزال قائمة. يواصل حسن نجمي رؤيته من الشرفة، التي وُضعت هناك ليراقب فقط: لقد جاء، حتى لا تموت الشرفة، بنطفته ليتقاسم خضرة الربيع، ومقابر المرينيين، والأضرحة، و اللقالق. هل سينسى ولادته بالضياع في المصب إلى أن يصبح أَخدوده عندما يعبره، حتى وإن كان نَسِيَ؟ إنَّ نهاية كل شيء هي الاختفاء، الإغلاق. الضَجَر. النسيان.

الآن أفهم المعنى القديم للشرفة، الذي يجدّده حسن نجمي. يتماهَى وإيَّاه. كما في نَهْر القافلة، المَوْكب، جيش الإمبراطورية، والملاك الذي في صمت، النمر في العُشب، الحَصان الفضي الذي يصَل إلى المدينة مجروحًا من حرب خاسرة، ويصَبح مالحًا في البحر، وَيغرَق في صمته متأكِدًا من موته. ولكن المماطلة، في الماء-الشعْر، مصدر إلهام هسيود، انسكبت على شفاه أرِقة، مما يجعل النظرة مشعة. يبدأ دانتي المقطع التاسع من المطهر بصورة أورورا وهِيَ تَقوم من بين ذراعي تيثونوس لتُطل على شرفة الشرق وتَبْيَضّ في الفجر. وشرفة الأفق مثل عينَيْها - عينَيْ حسن - حَيث يشرق الضوء الذي يجعل كل شيء أبيض، هي الصورة الأولى لفلك فيزيقي، للروح ذاتها. «وها أنْتَ تنهض بَاكرَ الخطو / أراك مشرق الصبح تُهَرِّبُ ذراعيك / / يا إلهي، حياتي تتضاءل - / لمَ هذا النَهرُ طويلٌ وشاردٌ كأبدية؟». ويختتم حسن نجمي بـ»نسيتُ». لكن النهر الآن مُضَاعَف، في سَريرَتِه، وهو يواصل تحويل نظرته من الشرفة التي أضحت، من خلال انسكاب صُوَر أَسْطُرِه الشعرية الجميلة، الموسيقى التي تسهر في الليل – مثل موسيقى الحبيبة، بكلماتٍ لم تُقَلْ – في الرغبة التي تُبْعِدُ هاوية الظلام عن الروح المبتلة بالماء والنور.

Rosita Copioli
Rimini, Ferragosto 2023

تتويج الشاعر المغربي نبيل منصر بجائزة فيرناندو دالميدا الكندية

حظي الشاعر المغربي نبيل منصر عضو المكتب التنفيذي لبيت الشعر في المغرب، بجائزة الشعر فيرناندو دالميدا التي يمنحُها المهرجان العالمي للشعر «الأنهار الثلاثة» بكندا، برسم دورته التاسعة والثلاثين، وفق ما نقله بيت الشعر بالمغرب.

وحسب بلاغ لـ «بيت الشعر»، فإن نبيلا منصر هو ثالث شاعر يفوز بهذه الجائزة بعد كل من جان كلود أونو من الكاميرون، وأمادو لامين صال من السينغال، الذي توجَه بيت الشعر في المغرب بالجائزة الكبرى للشعر الأفريقي بالرباط، في دورتها الأولى.

معلوم أن مهرجان «الأنهار الثلاثة» تأسس في بداية الثمانينيات من القرن المنصرم، ويُعتبر واحدا من أقوى مهرجانات الشعر العالمية من حيث جذبه للجمهور وتنوع الفعاليات الثقافية والشعرية والفنية، وينفتح على الأماكن العامة، وله قدرة على استقطاب الشعراء والصحافيين والإعلاميين من مختلف أصقاع المعمور».

والشاعر نبيل منصر، بالنسبة لبيت الشعر، «من الأصوات الشعرية المغربية المُجددة، يُشارف حتى الآن على توقيع ثلاثة عقود من تجربة الكتابة، صدر له خلالها ثمانية أعمال شعرية؛ من بينها ديوان «أغنية طائر التم» الذي نال عنه جائزة المغرب للكتاب، في صنف الشعر 2017، وتُرجمت بعض أعماله إلى الفرنسية والإسبانية. كما صدر له في البحث والنقد الشعري كتابان مُهمان، هما: الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة (2007)، وشعريَة البجعة (2011).

د. إبراهيم السولامي

لم يختر الأديب الدكتور «مصطفى يعلى» الذي يعد أحد الركائز المتينة والرائدة لفن القصة القصيرة في المغرب، عنوان «خمسة وخميسة» لكتاب الأعمال القصصية الذي صدر أخيرا، كتميمة خرافية لرد ضربات العين، إنما القصد بهذا العنوان هو التئام خمس مجموعات قصصية في كتاب واحد، والحقيقة أن أناقة هذا المجلد تستحق أن تجلب كل الأعين، وهو في سعة 114 صفحة من الحجم المتوسط، تصميم الغلاف أحمد البقالي.

يكتنف هذا المؤلف الذي رأى النور عن دار باب الحكمة بتطوان، خمس أضاميم قصصية هي: أنياب طويلة في وجه المدينة (6791)، دائرة الكسوف (0891)، لحظة الصفر (6991)، شرخ العنكبوت (6002)، رماد بطعم الحداد (5102).

ولن نجد إضاءة أسطع وأبلغ، من التقديم الذي كتبه لهذه التحفة القصصة الفريدة، الأديب والناقد الكبير الدكتور إبراهيم السولامي هذا نصه..

التئام الأعمال القصصية للأديب المغربي مصطفى يعلى

خمسة وخميسة

كُتبت المجموعة القصصية (أنياب طويلة في وجه المدينة) بين 1968و1975. ونشر معظمها على أنهر الصحف والمجلات المغربية. وقد أسهم دلك النشر في معرفة صاحب المجموعة الأستاذ مصطفى يعلى معرفة أولية، إلا أن صدور مجموعة من قصصه بين دفتي كتاب يمكن بشكل واضح وأقرب إلى الموضوعية من معرفة أسلوب القاص، ووعيه الاجتماعي وتطور فنه.

تدور قصص المجموعة حول مجتمعنا المغربي الحالي، وهو مجتمع نام مثقل بأعباء العهد الاستعماري والتخلف الحضاري والصراع الطبقي بين فئة محظوظة وغالبية مقهورة مستغلة.

ولعل التناقضات المريرة التي ينضح بها المجتمع، عامل هام في خصوبة القصة القصيرة وثرائها، لأن مجتمع التناقضات غني بالتوتر والمناظر الزاخرة إذا التقطها الوجدان الواعي والعين الذكية والقدرة على المعالجة الرأسية المتعمقة في إطار الفن الموحي البارع.

والأستاذ مصطفى يعلى لا يعدم المؤهلات لتصوير واقعنا وإبراز ألوان الصراع فيه متخذا من تنوع الشخصيات وتعدد المواقف والمهن نماذج لتحقيق مرامه.. ففي (مفاجأة الحفلة) يجلي لهو الطبقات المترفة ونهمها وأنانيتها، وفي لوحة صيف من الثلاثية القصصية القصيرة (فصول من الزمن الآسن) يرسم عبث الشباب الغني وتحلله من المسؤولية والاهتمام بالآخرين، وفي (أنياب طويلة..) يطرح جشع السماسرة والملاك وامتصاصهم دماء صغار الموظفين.

وفي (عملية غسل..) يشجب محاولة تسخير المحظوظين للبسطاء والنيل من كرامتهم ونكران ما يقدمونه من خدمة بغية المزيد من الإذلال . ويمر الكاتب بريشته على الطبقة المهدورة الحق فيدفعنا إلى متابعة (الصياد) المتعب وقد فقد قصبته وآل أمره إلى التسول، وإلى مواكبة الموظف الصغير وهو يلهث وراء بيت للإيجار، وإلى التعاطف مع الخادم المسحوق المنبوذ في الإدارة والشارع والبيت...

لكننا حين نفرغ من إدراك الشريحة الواسعة لمجتمع مختل التركيب الطافح بالبؤس القاتل والثراء الفاحش، نجد أنفسنا مسوقين إلى تأمل موقف القاص من خلال معالجة الواقع الآسن الذي يخوض فيه أبطال مجموعته القصصية.

فقد انطلق القاص من إحساس حاد بالظلم الاجتماعي، وهو ظلم يحاصره في كل درب ومنعطف، لكن الظلم وحده لم يكن ليحرك يدا أو لسانا، وإنما الوعي بالظلم هو الحافز على الحركة الحازمة للتخلص منه. ولما كانت شخصيات قصص المجموعة تختلف في درجة وعيها، فقد كان طبيعيا أن تكون ردود الفعل متناسبة مع مقدار الوعي.. فـ ‹‹الصياد المتعب›› عندما يسأل نفسه: ((لماذا نحن هكذا، أناس لهم الفائض وآخرون إذا تغذوا فكروا كيف سيحصلون على عشائهم))، يسارع لإبعاد الفكرة عن ذهنه: ((أستغفر الله العظيم، الدنيا حظوظ)). أما الدرويش في (رقصة الموت) فيهرب من الواقع إلى دخينته يبدد في دخانها حاله البائس فيطير سابحا في ملكوت الوهم محلقا فوق ألم المقت والحرمان. ويبرز عباس في (السقوط في الأحجام الكبيرة) نمطا آخر للمواجهة، فهو مثقف يتابع أحداث العالم ويعايشها ولكنه لا يبرح المقهى إلى مجال النضال الفعلي. ومثل عباس في سلبيته ذلك المعلم في (نموذج من فصيلة البوم) فهو يعي جيدا أن الشرطي الذي أوقفه وأخذ منه ذعيرة دون وصل إنما وضعها في جيبه، ولكنه لا يطالبه بالوصل. كل هذه المواقف تلتقي في السلبية والفرار من المجابهة، وهي بذلك تمكن الناهبين والمرتشين والحالمين بالثروة العاجلة، أمثال بوغالب والشرطي والصديق، من الغلو في التسلط والاستنزاف.

الشخص الوحيد الذي تحرك لتغيير (المنكر) كان ابن ابا العربي فقد حمل جردل الماء وصبه على الثري الجاحد عندما ثار في وجه ابا العربي (عملية غسل..). فهل يريد القاص من موقف ابن أبا العربي أن يقول: إن تغيير الواقع لن يكون إلا على يد الجيل الجديد؟ وهل تعني بقية المواقف السلبية أو المذبذبة أن المرحلة مرحلة مخاض لابد أن تسير إلى طريق مسدود لا خيار معه؟ ربما. لقد حاول مصطفى يعلى أن يبرر المواقف بأنها طبيعية لأنها نابعة من نفوس جبلت على تلك التصرفات بتأثير من نشأتها ومحيطها الاجتماعي الضيق، وهو بذلك يدين الإطار الذي تتحرك فيه شخصيات قصصه بكل مقوماته التعليمية والاقتصادية والسياسية.

وقد توسل الأستاذ يعلى لبسط موضوعات قصصه بأشكال مختلفة: فبينما يتخذ وسيلة العرض والتأزم والحل، نجده يستخدم اللوحات المتعددة المتلاحقة بخيط رفيع هو الراوي، لكنه ما يلبث أن يتجاوز ذلك إلى أسلوب التداعي واستغلال اللاوعي، أو يجرب تداخل الأزمنة والنهايات القابلة لشتى التفاسير.

إن مجموعة (أنياب طويلة في وجه المدينة) بحث متصل في البناء الفني ينبئ عن ذلك الإحساس الغامض بعدم الرضى عن الأساليب المألوفة بغية وضع التجارب الجديدة في إطار مبتكر، لكن على الرغم من هذا الاجتهاد في حل معادلة إشكالية الإطار الفني فإن مصطفى يعلى يبدو بعيدا عن الرافضين لكل تقنين للفن راغبا في إيجاد أشكال جديدة مقنعة تكون مسارا لعالمه القصصي الطافح ببراعة التصوير وسلامة اللغة وتدفقها.

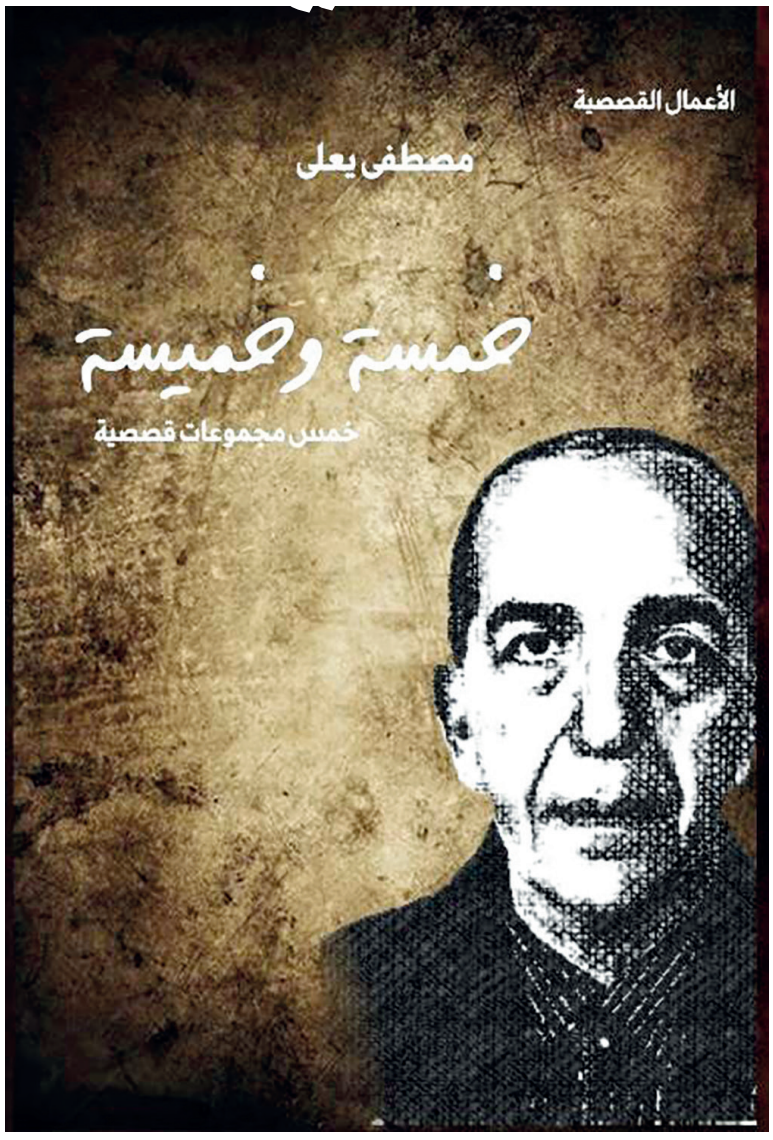

قطب الريسوني

وردةٌ بين النّساءِ

المدنُ نساءٌ كما قال نزارٌ، وتطّاون امرأةٌ جميلةٌ، ذاتُ ضفائرَ أندلسيّة، وعينين واسعتين، كشاطىءٍ أزرقَ تتحطّمُ فيه مراكبُ العاشقينَ.. ولم أكنْ أوّلَهُم، ولا سيِّدَهُم، لكنّني أكثرُهم إدْماناً على التَّغَنّي بهَديلِها، والمَقيلِ في أفْيائِها، وللغُربَةِ لَواعِجُ حَرّى، ونَفثاتٌ لا بدَّ لها من مُفيضٍ.. وهذه القصيدَةُ نَهْلَةٌ من إدْمَاني الميمونِ..

لوحة مستوحاة من ذاكرة تطوان لفنان التشكيلي المغربي أحمد بن يِسّف

شعر

يا وَرْدَةً بيْنَ النِّســـــــاءْ
يا نَجْمَـــــةً سَحَّتْ ضِيـــاءْ
ألطّـاءُ مِنْ طِيبِ الـــرُّبى
والنّـــونُ نَفْـــحٌ مِنْ سَخَاءْ
والتّاءُ تُـــوتُ بَيَـــــادِرٍ
والوَاوُ واسِطَـــةُ البَهـــاءْ
يا وَرْدَتي، وجَمِيلَـــــتي
يا أُنْسَ أيّـــامِ الصَّـــــفاءْ
إنّي حَزَمْتُ حَقَائِـــــبي
وطَوَيْتُ أَجْوازَ الفَضَـــاءْ
وتَرَكْتُ فِيكِ مَلاعِـــــبي
خَضْراءَ زاهِيةَ الوِشَـــاءْ
وتَرَكْتُ فيكِ طُفـــولَـتي
أُرْجوحَةً وظِلالَ مَـــــاءْ
لُعَبُ الطُّفولَـــــةِ هَا هُنا
رَسَمَتْ فُصولاً مِنْ نَقَـاءْ
وهُناكَ أَيْكُ يَفاعَـــــــة
غَنَّتْ بهِ وُرْقُ الفَتـــــاءْ
ومَرابِـــــعٌ لِصَداقَـــــة
شَفَّتْ بها ظُلَلٌ اللِّقـــاءْ
عِشرونَ عاماً قَدْ مَضَتْ
وقَصائِدي لَحْنُ الوَفـــاءْ
ودُمى الحُـــــروفِ تَرنَّحتْ
سَكْرى بأَشْـــــذاءِ الرُّوَاءْ
أَغداً تُدَغْدِغُني المُنَـــــى
وتَزورُني غِيدُ السَّنَـــاءْ؟
أَغداً تُتَرْجِمُ صَبْـــــوَتي
قُبَلاً مُسَكَّرَةَ الطِّـــلاءْ؟
مُدُنٌ تَتِيـــــهُ بِحُسْنِها
ومَدِينَتي أَحْلى النِّســـاءْ

يوسف إدريس

1927.1991

د. عبد الجبار العلمي

يوسف إدريس أحد كتاب القصة القصيرة العربية المجيدين الذين يحسبون في أدبنا على رؤوس الأصابع مِشرقا ومغربا ، باعتبارها فنا صعبَ المراس مثل صنوه الشعر الصعب الطويل سلمُه . لكن الكاتب لم يقتصر في مسيرته الأدبية على كتابة القصة القصيرة رغم إجادته الكتابة فيها، بل كتبَ في مختلف الأجناس الأدبية. نذكر من أعماله القصصية على سبيل التمثيل لا الحصر : «أرخص ليالي» التي كانت باكورة أعماله القصصية، بتقديم الدكتور طه حسين ـ «الذاهة « ـ حادثة شرف «ـ « آخر الدنيا «ـ لغة الآي آي» ـ « قاع المدينة»ـ «بيت من لحم « ؛ ومن كتاباته الروائية الشهيرة « الحرام « ـ « العيب « ـ البيضاء ـ « قصة حب « ـ «رجال وثيران» ، وأغلب هذه الروايات حُوِّلَتْ إلى أفلام مصرية ناجحة؛ كما نذكر من أعماله المسرحية أشهرَها وهي : « الفرافير « والمخططين» و«اللحظة الحرجة». وأذكر أن الناقد المغربي إبراهيم الخطيب، قد كتب عن المسرحيتين الأوليين زمن صدورهما وتشخيصهما في مسرح الطليعة بالقاهرة. وهذا الصنيع يعكس مدى اهتمام المغاربة بما ينتجه إخوانهم في المشرق من إنتاجات أدبية في مختلف الأجناس، ومدى الحرص على التواصل الثقافي بين هذين الجناحين من الوطن العربي. وقد ازدادت أواصر التواصل بيننا بفضل جهود الطرفين وبفضل وسائط التواصل الاجتماعي والوسائل الإليكترونية الحديثة. أما المقالات الأدبية فقد جمع الكاتبُ ما كان يكتبه في جرائد مصر الكبرى مثل الأهرام في كتب عديدة نذكر منها هنا : « شاهد عصره « و«جبرتي زمانه» و« فكر الفقر وفقر الفكر» .. وقد عَملت مؤسسة الهيئة المصرية العامة للكتاب بإشراف د.سمير سرحانَ رحمه الله، وإعداد الأستاذة الأكاديمية الدكتورة اعتدال عثمان بمساعدة طاقم مؤهل من المساهمين في هذا العمل، على إخراج كتاب موسوعي عن أعمال يوسف إدريس المتنوعة الأجناس، ليصير مصدرا لا غنى عنه لمن يتصدى لدراسة المنجز الإبداعي والثقافي ليوسف إدريس سواء في القصة القصيرة أو الرواية أو المسرحية أو المقالة الأدبية، ومن الكتب القيمة التي أصدرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب في أدب يوسف إدريس. هو سفر ضخم تبلغ صفحاته 1056 صفحة من القطع الكبير، وكانت مَناسبة إصداره، أربعينية وفاة يوسف إدريس سنة 1991م.

ومن الجدير بالذكر هنا، أن الهيئة المصرية العامة للكتاب، قد أصدرتْ إعداداً خاصَّة من مجلة «فصول» ببعض الشعَراء والكُتَّاب، نَذْكرُ منها: العَدَدَ الخاص بصلاح عبد الصبور ، (المجلد الثاني ، العدد الأول ، أكتوبر 1981 م)، والعددين اللذين خصصتْهما المجلة أيام كان رئيس تحريرها الدكتور عز الدين إسماعيل ونائبه الدكتور جابر عصفور لشاعرين كبيرين هما: أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم. لقد أعادت هذه المجلة بهذا العمل الجليل، الاعتبار المستحق لهذين الشاعرين الكبيرين، بعد أن سادتْ النظرة الدونية إليهما طويلاً، باعتبارهما ينتميان إلى المدرسة (التقليدية) (1) من لدن الأجيال التالية المتشبعة ببعض نظريات النقد الأنجلوساكسوني الحديث، ونتيجة طغيان الإيديولوجيات والنزعات التجديدية التي كانت تحمل معول الهدم لتحطيم رموز هذه المدرسة

(تحطيم الأصنام الباقية)،(2) حسب تعبير عباس محمود العقاد في كتاب « الديوان « سنة **1921** . جاء العددان المنوه إليهما أعلاه، حافلين بالدراسات الأكاديمية التي يتبنى معظمها مناهج نقدية حديثة في الدرس والتحليل، (الجزء الأول، المجلد الثالث ، العدد الأول ، 1982 م؛ الجزء الثاني، المجلد الثالث، العدد الثاني، 1983م.)

أما الكتاب الباذخ الخاص بيوسف إدريس الذي سنحاول هنا أن نقدم عرضاً موجزا له، فيشتمل على مقدمة لسمير سرحان و أجزاء تضم مجموعة من الدراسات لنقاد وباحثين وأدباء للأنواع الأدبية التي كتب فيها، وهي : القصة القصيرة - المسرحية - الرواية ـ المقالة ، كما يضم العديد من الشهادات التي قيلتْ في حق تجربته الأدبية الخصْبة وكتاباته المتنوعة.

القصة القصيرة عند يوسف إدريس :

من أهم الدراسات في القصة القصيرة دراسة بعنوان « قصص يوسف إدريس القصيرة / تحليل مضموني للمستشرق (ب. م. كربرشويك)؛ « البعد الخامس للإنسان والاتصال بالموجودات .. ؛»التحضير لعملية الكتابة» للدكتور ناجي نجيب، وفي هذه الدراسة العميقة المطولة، لا يكتفي الكاتب بدراسة هذه الموضوعة في القصة القصيرة في مختلف مجاميعه القصصية، بل يتناولها في بعض روايات الكاتب : «الحرام» و«العيب «. وتتوالى دراسة القصة القصيرة في فصل يضم دراسات حول المجموعات القصصية التالية : « أرخص ليالي « (1954) للدكتور سمير سرحان؛ «حادثة شرف « (1958) للدكتور لويس عوض ؛ « آخر الدنيا» (1961) للدكتور رشاد رشدي؛ « لغة الآي أي « (1965) للدكتور شكري عياد ؛ « بيت من لحم « (1971) للدكتور صبري حافظ ؛ « عن اللغة والتكنيك في القصة والرواية / نموذج تحليلي من يوسف إدريس (1984) لحسن البنا ، وهي دراسة تقوم على التحليل اللغوي والأسلوبي للقصة القصيرة والرواية/ « بيت من لحم «بين الجنس والدين (1988) لفريدة النقاش/ العتب على النظر(1990) « للدكتور صلاح فضل . يلي هذه المجموعة من الدراسات القيمة الغنية عن فن القصة القصيرة، الجزء الخاص بالمسرح .

المسرح عند يوسف إدريس : ويفتتح بشهادة يوسف إدريس من خلال حوار شيق / تقديمه للنصوص الكاملة لمسرحياته بعنوان «نحو مسرح مصري» . بعد هذا الجزء الخاص بالمسرح الذي يدعو فيه يوسف إدريس إلى تحريره وغيره من الفنون والآداب من التبعية لأوربا ، ولكي يستمتع به شعبنا أولا ، ثم ليأخذ بعد هذا مكانه بين فنون بقية العالم وذلك بالعمل على تطويره لنحقق ذاتنا وشخصيتنا نحن، يقول : «علينا أن نكون تلامذة في دراستنا ومصريين في خلق علومنا وفنوننا وآدابنا «(ص : 346). ثم نصادف في هذا السفر الضخم دراسات عامة حول أدب يوسف إدريس هي كما يلي :

الدراسات العامة : وتضم مجموعة من الدراسات حول الأجناس التي كتب فيها :

1 ـ «يوسف إدرس في المسرح «، للدكتور علي الراعي ، وهي مقدمة لكتاب « نحو مسرح عربي ، النصوص الكاملة لمسرحيات يوسف إدريس ، بيروت **1974** .

2 ـ « الجوانب النظرية لمسرحيات يوسف إدريس « للدكتورة نادية رؤوف فرج .وتخص الكاتبة بدراستها هذه، مسرحتي الفرافير(1964) والمخططين (1969) من حيث البناء الفني والجوانب الإيديولوجية : أ ـ التحليل السياسي / ب ـ التحليل الاجتماعي. وهذا اللون من المسرح يدخل في إطار «التراجيكوميديا « (الهجاء والسخرية والفكاهة) .

3 ـ «مسرح يوسف إدريس « للدكتور محمد عناني ، وقد تحدث الكاتب في دراسته عن بعض القضايا المضمونية والفنية مثل : دراما الرجل العادي ، حيث « كان هدف يوسف إدريس منذ البداية إعطاء الأهمية والبطولة المسرحية للإنسان العادي الذي تجاهله كتاب الدراما الكلاسيكية قديما ، ولم يظهر إلا في الكوميديا « (ص : 416) ـ المفارقة الدرامية ـ المفارقة الفكرية ـ بين التجريب والتجريد ، وقد اشتغل محمد عناني على مجموعة من المسرحيات هي « ملك القطن» ـ جمهورية فرحات « اللحظة الحرجة « ـ «الفرافير» و«المخططين « ،لكن بشكل يتميز بالإيجاز والتركيز بخلاف بعض الدراسات السابقة (الدراسة منشورة في مجلة الهلال ، أغسطس 1991 ، ص : 42 ـ 49)

يلي هذه الفصول، فصل بعنوان: «دَراسات حول مسرحيات»: ويضم مسرحيات عديدة هي كالتالي :

1 ـ «جمهورية فرحات»، ويدرسها ناقدان، الأول: الدكتور محمد مندور بعنوان « جمهورية فرحات بين المسرحية والأقصوصة «، وقد كان أصلها قصة حوَّلَها صاحبُها إلى مسرحية قصيرة عُرضتْ هي ومسرَحية «ملك القطن» في مسرحَ الطليعة بالأزبكية . أما الثاني فهو الدكتور فاروق عبد القادر ، حيث علق عليها بقوله : « جمهورية فرحات « حلم يقظة ، وحنين إلى مدينة فاضلة، وهرب من واقع جاف إلى واقع مشرق « (ص : 432)

2 ـ « اللحظة الحَرجة « التي قدمتها الفرقة القومية على خشبة مسرح محمد فريد. وقد درسَها د, محمد مندور ود. محمود أمين العالم كل من زاويته وطريقته. فإذا كان محمد مندور يقدم لنا تلخيصا لأحداث المسرحية مع بعض الانتقادات الموجهة للإخراج المسرحي الذي كان يقوم به المخرج نور الدمرداش، فإن محمود العالم ، يركز على الدلالات الإيديولوجية التي يستشفها من المسرحية : البطولة ليست دائما بطولة فرد، مجرد فرد معزول يعيش في نفسه ولنفسه، وإنما هي بطولة جموع بشرية تعيش وتَبْني وتتطلع وتجاهد...» (ص : 449)

3 ـ « تجربتان نحو البطل الثوري « عنوان لدراسة مسرحيتي «اللحظة الحرجة» ليوسف إدريس ، و«شقة للإيجار» لفتحي رضوان بقلم الدكتور شكري عياد ، وهي دراسة مقارنة، يركز فيها على «البطل» في كل من المسرحيتين. يبدأ من نقطة « البطل « ، وهي عنده النقطة التي ينبغي البدء بها ، « فالمسرح ـ منذ كان ـ يصور الإنسان، أي أنه يركز إحساس البشرية بنفسها في صور أبطال ، وعملية التركيز هذه هي أخطرُ ما يواجهُ الفنانَ المسرحي (ص : 471), ويلاحظ د. شكري عيَّاد أنَّ نموذجَ البطل في هاتين المسرحيتين واحد : «هو البطل الذي يخرج من السلبية والتسليم بالحياة كما هي، إلى الثورة عليها ومحاولة تغييرها «. ومن الجدير بالملاحظة أن شكري عياد سبق أن نشر دراسته هذه سنة 1961 في عز المد القومي والثوري في مصر أيام تمجيد البطل الفرد ، قبل أن يبدأ تهديد الاستعمار بالعدوان المسلح على مصر . (ص : **472**)

4 ـ مسرحية الفرافير، دراسة لعبد الفتاح البارودي وإخراج كرم مطاوع :يرى الباحث أن هذه المسرحية تدور حول مشكلة (السيد والمسود) ، والفرفور هو المسُود، وقد أراد يوسف إدريس

عرض موجز لكتابه التكريمي

في عمله المسرحي إثارة التفكير للبحث عن حل لهذه المشكلة المستعصية على الحل التي عاصرت الإنسان منذ القدم ، وظلت بلا حل عبر العصور واختلاف الفلسفات والمجتمعات (ص : **478**)

5 ـ دراسة بعنوان «يوسف إدريس» لجلال العشري: يرى كاتب الدراسة أن يوسف إدريس يرى أن المسرح المصري ، ينبغي أن يصدر عن أشكال المسرح المصري البدائية المتمثلة في الأراجوز وخيال الظل وغيرهما ثم يمتدُّ بها ، مطوراً إياها إلى المستوى الذوقي والجمالي والمفاهيم العالمية . (ص : **485**) ، وذلك لأنه يرى «أن المسرح المصري ليس مصرياً على الحقيقة وإنما هو حفيد غير شرعي للمسرح الغربي في القرنين **18** و**19** ... يتراوح بين الاقتباس والترجمة والتعريب « (ص : **484**)

6 ـ «الفرافير والمسرح الغاضب « لرجاء النقاش: في هذه الدراسة يحلل الكاتب هذه المسرحية من حيث المضمون الفكري والبناء الفني. «المشكلة التي تعالجها المسرحية هي مشكلة العلاقة بين الإنسان والإنسان» يقول :» لماذا يحتاج النظام الإنساني إلى وجود سيد وفرفور (مَسُود) ؟ « ويرى الناقد أن هذه هي المشكلة الفلسفية والإنسانية التي تعالجها « «الفرافير» (ص : **495**)

7 ـ « إعادة ترتيب البشر « لصلاح عبدالصبور : يتناول الشاعر الناقد في دراسته مسرحية «الفرافير» ، حيث يعتبرها تراجيكوميديا (مزيج من الضحك والبكاء) ، وأشار إلى تأثره بالمسرح العالمي الحديث ، خاصة بيونيسكو في مشاهد كثيرة من المسرحية ، وببريخت لاسيما «في خطاب الجمهور ومحاولة إدماجه في العمل المسرحي» (ص : 525) . ويرى الكاتب أن يوسف إدريس قد وقف بمسرحيته «الفرافير» على مشارف المسرح العالمي ،واستفاد استفادة ذكية من بريخت ويونسكو وبيكيت « (ص : 523)

وتتوالى الدراسات عن هذه المسرحية التي وُصفت بالعالمية ، وهي كما يلي : ـ «فرفور يريد أن يوقف حركة الأفلاك» للدكتور لويس عوض ، وهو يتفق مع صلاح عبدالصبور في مسألة اقتراب فن المسرح في مصر إلى صفة العالمية. يقول : « إننا قد اقتربنا أو أوشكنا أن نقترب من تصدير فننا إلى العالم» (ص : 529) ـ « الفرافير بين المسرح والميتامسرح « للدكتورة نهاد صليحة ، والباحثة في هذه الدراسة، تحاول تقديم قراءة تحليلية للمسرحية «في ضوء الدراسات السيميولوجية الحديثة في مجال المسرح « ، فتعالج المسرحية سواء على المستوى النظري أو التطبيقي ، وترى أن مصطلح الميتامسرح أو الميتاتياتر لم يظهر إلا في ستينيات القرن الماضي ، إلا أن هذا العنصر الفني عرف في المسرح اليوناني ، واستخدم في المسرح الإليزابيثي ، وتشير الباحثة إلى أن هاملت كان يتحدث عن التمثيل في المسرحية (انظر هاملت وحديثه عن التمثيل) ص : 547 .

وبعد أن تناول النقاد والدارسون السابقون مسرحية « الفرافير « من جوانب فنية متعددة ومتنوعة، يُختم القسم الخاص بالمسرح بدراسة ثلاث مسرحيات ، الأولى : « المهزلة الأرضية « بعنوان « مهزلة النقاد غير الأرضية « للقاص الروائي بهاء طاهر ، يوجه فيها نقده للنقاد على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم النقدية والإيديولوجية ، الذين رآهم متشددين في نقدهم هذه المسرحية: الخطابة والمباشرة ـ انعدام الدرامية ـ الخلط بين المناهج وهو أمر» غير فني».. والدراسة الثانية عن مسرحية « المخططين « بعنوان : « في مسرحية المخططين / ضد النظم الشمولية لا الاشتراكية للدكتور صبري حافظ . وفي دراسته يؤكد أن «يوسف إدريس من الكتاب الذين اعتادوا مفاجأة القراء والنقاد معا كل حين من الزمن ، بعمل يثير دهشتهم ويوقظ رغبتهم في النقاش والجدال .. لا يكرر نفسهً ، ويرتاد آفاقاً جديدة لم يسمع فيها وقعٌ لقدم عربية من قبل» (ص : 574). أما الدراسة الثالثة ، فهي بعنوان : « علامة القناع ومستويات الدلالة « لحازم شحاتة ، وقد رصدها لمسرحية « البهلوان «، ويرى الكاتب أن « التمثيل هو فن ارتداء الأقنعة... وإن استبدله الممثل بقناع من تعبيرات الوجه. «(ص: **591**)

الرواية عند يوسف إدريس :

يبدأ هذا القسم بشهادة ليوسف إدريس حول القصة والرواية، وقد جاءت ضمن حوار نشر في مجلة « فصول ، المجلد : 2 ـ ع.2 ، 1982 ، في محور بعنوان « الرواية وفن القص «. في هذه الشهادة، يقدم يوسف إدريس تجربته مع الفن القصصي قراءة وكتابة، واهتمامه بفن السرد قصة ورواية ودوافع هذا الاهتمام . وفي هذه الشهادة سنتعرف على مدى اطلاعه على الفن القصصي والروائي في شرق العالم وغربه. وأنه يرى « أن منبع الفن هو اختلاط الواقع باللاواقع ، والصدق بغير الصدق ، ومن الممكن مثلاً أن أبدأ من فرضية مستحيلة، كأن أقول نظرتُ فوجدتُ نفسي واقفاً فوق قمة (إفرست) ولا رأيتها ولا عرفتها , ولكن المشكلة هي القدرة على الإقناع ، وموهبة الكاتبُ هي أن يقنعك بتمرير الجَمَل من ثقب الإبرة « (617)

بعدَ هذه الشهادة المركزة ، نصل إلى باب خاص بدراسة الرواية « دراسات حول الروايات « : ـ «قصة حب « (1957) / «الحرام» (1959) / «العيب» (1962) /» رجلٌ وثيران « (**1964**) / « البيضاء « (1970) ، وقد تناولها على التوالي بالدرس والتحليل : سامي خشبة ، حيث ركز على موضوعة (الحب والثورة) ، والبطل الثوري «حمزة « الذي يمثل ذلك الجيل من الثوار الذين توصلوا إلى الوعي بأن « الثورة هي علم تغيير المجتمع ، وأن الحرية هي ليست مجرد الاستقلال السياسي وطرد المستعمر» (ص : 663) ؛ والدكتور غالي شكري في دراسته « فلسفة الحَرام عند يوسف إدريس « ، وقد عالج الباحث فيها الاتجاه الواقعي في الفن ، معتبراً يوسف إدريس أديباً واقعياً ممتازاً ، خاصة وأنه كان واعياً بعدم التخلي عن الجوانب الفنية في العمل الأدبي (ص : 643)؛ ومن الجدير بالملاحظة أن رواية « العيب « حظيت بثلاث دراسات، الأولى هي : دراسة الدكتورة نعمات أحمد فؤاد التي ركزت فيها على عالم الموظفين في الإدارات العمومية في المدينة بخلاف رواية الحرام التي تصور معاناة عمال التراحيل في الريف المصري. تقول الناقدة إن الرجل عنده « الشرف في بيته غير الشرف في عمله، والحرام في الليل غير الحرام في النهار «، وبعد تحليل مستفيض لنفسية الرجل ونفسية المرأة .. جاء الحكم من لدن المرأة المتمثلة في جماعة الموظفات كما يلي : « هؤلاء الرجال وإن كانوا أكثر منهن قذارة أيضاً ، فإنهن بعالمهن قد يكن أكثر تخلفاً وضيقَ أفق إلا أنهن أكثر نظافة « (ص : **665**)، وحين تنتقل الكاتبة إلى دراسة الأسلوب والجوانب الفنية ، ترى « أننا أمام كاتب فنان يرسم صوراً للمجتمع الذي يعيش فيه .. صوراً تحمل معنى الدعوة إلى الإصلاح دون أن تلقي خطبة منبرية « (**672**) / الدراسة الثانية للسيد ياسين بعنوان « التصوير الأدبي للانحراف الاجتماعي / تحليل سوسيولوجي لرواية « العيب « . إن هذه الدراسة كما يصرح صاحبها محاولة سريعة لتحليل رواية العيب تحليلاً سوسيولوجياً ، ويعقد الباحث مقارنة بين رواية « الحرام «التي تصورُ المجتمع الريفي ، وبين « العيب « التي ترصد المجتمع الحضري ، فهما متكاملتان وعلى جانب كبير من الأهمية من الناحية السوسيولوجية» (**674**) ، ويرى السيد ياسين أنه إذا كانت « الحرام» تعد دراما عن السقوط في مجتمع الأرياف ، فإن « العيبَ «، تُعدُّ دراما السقوط في مجتمع حضريَ «إنها تحلل هذا المجتمع ، وتكشف عن طبيعته وعن ضروب الإختلال الاجتماعي السائدة فيه «(675). أما الدراسة الثالثة التي رُصدت لهذه الرواية فهي قراءة مركزة للدكتورة لطيفة الزيات. وقد تناولَتها من الناحية الإيديولوجية، حيث تتسلل رؤية المرأة باعتبارها شيئاً لا

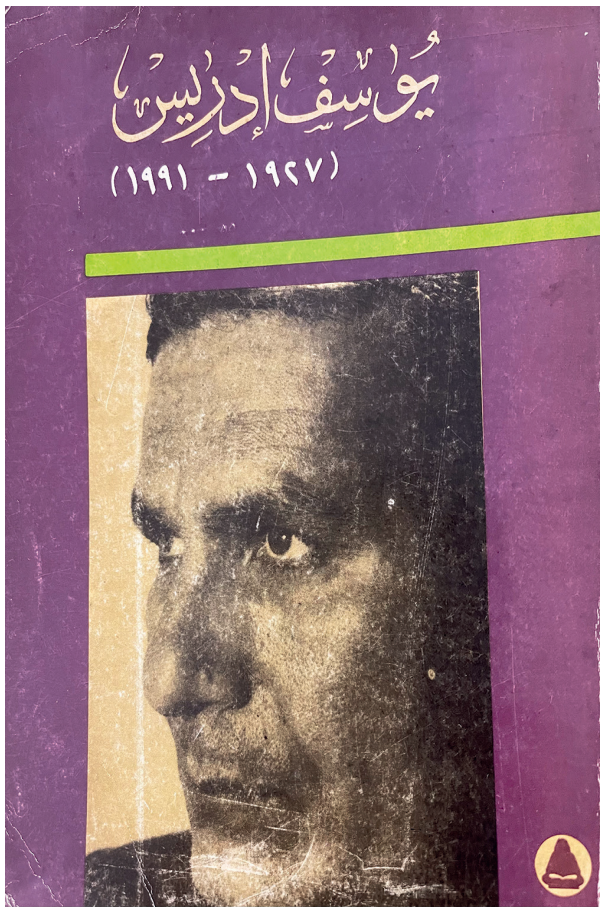

إنساناً، إلى هذه الرواية .. ويختزل الكاتبُ الوجود الحي للمرأة إلى بعد أحادي واحد هو الجنس « (**686**) .

بقيت دراسة روايتين اختُتمَ بهما الملف الخاص بالرواية هما : «رجال وثيران «للدكتور صبري حافظ ، و» البيضاء « ليوسف الشاروني. أما الرواية الأولى، فقد أشار الناقد إلى أنها رواية لا ترقى إلى مستوى أعمال يوسف إدريس السابقة. يقول: أين يوسف إدريس (أرخص ليالي « و(جمهورية فرحات) و(الحرام) و(آخر الدنيا) ؟ ويتساءل الكاتب هل الأمر يعود إلى العمل الصحافي الذي التهمه ؟ أم أن الامتيازات والمراكز المرموقة امتصت الفنانَ في أعماقه؟ أم غابت روح الفنان فيه بعدما انفصل عن كل ما وهب أعماله الأدبية الأولى الدفء والخصب والثراء؟ (انظر ص: **694**), يوجه الناقد صبري حافظ إلى هذه «النوفيل « نقداً موضوعياً يخلو من المجاملة ، ويضع يد القارئ على نقاط الضعف فيها منها : النبرة الخطابية التي نجدها في القصة المتمثلة في نقد يوسف إدريس للنظام الرأسمالي الإسباني الذي يهمه الربح المادي من دخل لعبة مصارعة الثيران على حساب مصارعي الثيران من الفقراء الذين يُقتلون وسط حلبة الصراع ومنهم شخصية أنطونيو ـ الشخصيات التي تقدمها القصة باهتة غير واضحة الملامح ـ من حيث التجنيس ، لا يعتبر صبري حافظ « رجال وثيران « رواية ، بل إنها تظل « محوَّمة بالقرب من التحقيق الفني ، والرحلة ، والقصة القصيرة الطويلة (Novela) «(ص : **701**) ـ « إقحام الراوي ، معلقا ، وسط الكثير من الأحداث التي ينبغي عندها الاستمرار في عرض الحدث وتركه هو ليشي وحده بما ينبغي أن يستخلص منه « (**702**) ـ اكتظاظ القصة : بـ (صورة مزعجة) على حد تعبير الناقد ، بالأحكام والتأملات (ص : **702**)...

الرواية الثانية في نهاية الملف الروائي هي « البيضاء « ، وقد تصدى لها الناقد القاص يوسف الشاروني بالدرس والتحليل ، مفتتحاً مقالتَه بقوله: « صحيح أن الأدب ليس تاريخاً ، كما أنه ليس علم النفس ولا علم الاجتماع ـ بل هو بناء فني أساسه اللغة ، لكنه ليس بناء مفرغاً، بل يستوحي موضوعاته من كل هذه العلوم الإنسانية مجتمعة « ، وذلك ليقول لنا إن الرواية يمكن أن تكون وثيقة صادقة من وثائق المؤرخ التي يعتمد عليها في رصد حركة المجتمع المصري المعاصر التاريخية والاجتماعية. والحقيقة أن لنا في روايات نجيب محفوظ خير مثال على ذلك ، فهي تواكب تطور المجتمع المصري عبر تاريخ طويل من ثورة 1919 إلى عهدي عبد الناصر والسادات وما بعدهما. ورواية «البيضاء» تدخل في هذا الإطار من خلال علائق متشابكة بين الرجل والمرأة في مجتمع ذكوري قاهر، ويغلب على دراسة الشاروني التكيز على المتن الحكائي .

شهادات:

ويضم هذا الباب شهادات عديدة لنقاد ومبدعين مصريين معروفين في الوسط الأدبي والنقدي، ويقع بين صفحتي (717 إلى **954**)، وسنكتفي بذكر أصحاب هذه الشهادات، لأن المقام لا يسمح بذكر ما ورد فيها هنا ، بالنظر إلى غزارة هذه المادة وغناها ، تحتاج وحدها إلى عرض خاص. وهؤلاء هم حسب ترتيبهم في هذا الباب :

ـ إبراهيم أصلان ـ إبراهيم عبدالمجيد ـ إبراهيم فتحي ـ أبو المعاطي أبو النجا ـ أحمد الشيخ ـ أحمد عباس صالح ـ إدوار الخراط ـ اعتدال عثمان ـ ألفرد فرج ـ بهاء طاهر ـ ثروت أباظة ـ حمد السكوت ـ خيري شلبي ـ سامي خشبة ـ سعد الدين وهبة ـ سيد حامد النساج ـ شكري محمد عياد ـ شمس الدين موسى ـ عبدالرحمن أبو عوف ـ عبدالعال الحمامصي ـ عبدالفتاح رزق ـ عبدالله خيرت ـ عبدالله الطوخي ـ عز الدين إسماعيل ـ علي سالم ـ غالي شكري ـ فاطمة موسى محمود ـ فتحي غانم ـ فريدة النقاش ـ فؤاد قنديل ـ مجيد طوبيا ـ محمد جبريل ـ محمد جلال ـ محمد المخزنجي ـ محمد مستجاب ـ محمد المنسي قنديل ـ محمود أمين العالم ـ محمود الورداني ـ نجيب محفوظ ـ يوسف أبو رية ـ يوسف القعيد.

ويُختتم الكتابُ بوثائق بخط الكاتب وصور فوتوغرافية وبيبليوغرافيا منَ إعداد الدكتورين حمدي السكوت ومارسدن جونز . وتنقسم إلى الأقسام التالية : أ. أعمال يوسف إدريس في جميع الأجناس الأدبية التي كتب فيها: 1 - مجاميع قصصية - 2 ـ مسرحيات ـ 3 - روايات ـ 4. كتب ـ 5 ـ كتب بالاشتراك ومقدمات كتب - 6 ـ قصص قصيرة نشرت في دوريات ـ دراسات ومقالات نشرت في الأهرام في باب بعنوان من مفكرة يوسف إدريس (12 / 01 / 1987 إلى 16 / 11 / 1990) أحاديث صحفية واستفتاءات وندوات. بـ : أعمال عن يوسف إدريس ، وهي كما يلي : 1 - كتب كاملة .2 - كتب تناولته في فصول - 3 - مقالات ودراسات نقدية عن يوسف إدريس لأبرز النقاد و الباحثين المصريين لا يتسع المجال هنا لذكر أسمائهم لكثرة أصحابها ذائعي الصيت في المشهد الأدبي والثقافي في عصر الكاتب ، وقد نشرت في صحف ومجلات مصرية وغيرها - أعمال عن يوسف إدريس بلغات أخرى. والكتابُ يعدُّ أهمَّ مرجع لكل من يتصدى لدراسة جانب من جوانب تجربة يوسف إدريسَ الأدبية من الباحثين والدارسينَ سواء على المستوى الجامعي الأكاديمي أو غيره.

يبقى أن نقول في الأخير ؛ إن القراءة في هذا الكتاب الرفيع تعتبر سَفراً مُمتعاً مفيداً، ونزهة في كنز مليء بالجواهر والآلىء من أبحاث ودراسات وشهادات ومقالات.

هوامش :

1 ـ كان بعض أساتذتنا يفضلون استعمال مصطلح الشعر العمودي أو القديم ، والمدرسة الإحيائية ، لما في مصطلح التقليدي أو التقليدية من صبغة قدحية .

2ـ كتاب «الديوان في الأدب والنقد «، (المقدمة) ط.4 ، دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر ، القاهرة ،1997 ، ص : 4 .

هزيم الأرض

محمد زهير

في ليلة وسط بين الصيف والخريف، صيف مستعر القيظ، غاضب من العدوان على صفاء الطبيعة وسيولة الحياة، حذر من انتكاس سعيه في التخلص من الوباء .. وخريف لاحت بوادره بهبوب ريح رخاء، وبإثمار شجر الزيتون والنخل والرمان .. في ليلة وسط بين الصيف والخريف ترددت في وجدان منار الكتبية مخاطبة شاعر الحمراء له:

تهوى النور والنور يهواك
فلا تكاد تراه حتى تفتح له أبواب قلبك
ولا يكاد يراك حتى يتغلغل في باطنك فينيره
والحب ينير القلوب ..

وخطف المنار من انتشائه بمناجاة الشاعر، سهم غامض الإشارة نفذ من حوز مراكش، وعاد في لمح إلى الجهة نفسها، ولم يلتقط حركته سوى المنار القائم سجل تاريخ منذ مئات السنين .. ساحة «جامع لفنا» التي يطل المنار عليها، كانت في أوج دفقها الليلي، الزاخر بمزيج الأصوات والروائح والأضواء والعتمات والأهواء.. ليلة في انفراج صيفي على مشارف الخريف، والحياة تدعو إلى مرابعها رغم الأدواء والأنواء .. لا تشبه إشارة ذلك السهم الجهم كمتوعد حانق، الإشارة التي تنفذ إلى منار الكتبية حينا بعد حين، من توأمه على مستقره في قرية « تينمل «، الإشارة من « تينمل» ضوئية مفعمة بأريج المحبة، أما السهم الغامض المداهم فيشبه شرارة من بركان على أهبة الانفجار .. سهم مارق غريب، ما كاد يغيب من حيث نفذ، حتى اهتزت الأرض بصوت راعد رهيب، استتبعه إجهاز الدمار على الأبدان والأرواح، إلا من وجد منفذا للانفلات إلى العراء ..اجتياح على حين غرة يهيل التراب والحجر على البشر وما كسب البشر، ويفلق صخر الجبال ويروع الطير والشجر.. اجتياح كاسح امتد من أجيج بؤرته إلى أمداء شاسعة من المدر والحضر، علاماته الموت والدم والخراب ولهيب الفزع .. هل الحياة بمثل هذه الهشاشة في مواجهة اكتساح الدمار ؟ كيف لحضن المأوى أن يصير مدفنا لألافه ؟ وكيف للمستنبت أن ينقلب مقبرة لأهله ؟ .. لا خيار لحضن المأوى ولا لفضاء المستنبت في المصير، والدليل نزف الذكرى في وجدان الأحياء وهم في ذهول بين ما كان وما صار، ذكرى يلهبها الحزن « ومن حاجة المحزون أن يتذكرا « ويستحضر خلاصة الزمان في لحظة الفقدان.. ومنار الكتبية الواقف قرونا، هل كان في تلك الليلة ينوس أم يتأوه وجعا ؟ والغيمة التي لاحت حول قمته، أكانت غبارا أم حرارة أنفاس كمدا مما يرى ويتناهى إليه ؟ .. ليلة مضاعفة الأرق وما الصبح بأمثل، فضوؤه هذه المرة كشاف لمطاعن العصف الجارف: المساكن المنهالة على من باغته العصف فيها، صمت الطيور عن صدحها في حجرات وساحات المدارس المنعطبة، زهور كانت هناك تلهج بأبجدية الحياة وترهص بطلعها الواعد، والدفق الحي صار أثرا بعد عين .. كم للكلمات أن تلملم من نزف الشظايا، وأينما اتجه البصر يرتد كسيرا، فكل شئ انقلب على كل شئ ونقع الغبار خانق، وفي المسافات الثكلى ينادي الصوت الجريح على الصوت الجريح، والسهم المارق يتناسل طوفان دمار..آه .. السراب ليس وحده الذي يغري بوهم الماء .. إجحاف الزمان أشد وأشنع الواهمين.. وعن قلوب الأطفال المرتجفة لا تغيب ابتسامة تلك المربية النبيلة، التي كانت تتهيأ لزفافها فانهال السقف والجدران على مأمنها، وكانت حضنا وديعا لتلك البراعم .. وعن عيون المهج لا تغيب أطياف الأرواح التي تحوم حول انهيار مساكنها تتفقد، تتساءل، تبحث في المهيل المؤجج لحرائق الذكريات .. أرق على أرق .. ومنار الكتبية الذي لم يأخذ عتو الزمن منه، يرى بعين القلب المنفطر حال مدينته، ويمد البصر إلى أطراف الحوز فيرى ما حاق بتوأمه في « تينمل « من دمار .. ويرى المنابت في امتداد الحوز كاسفة، لم يفارقها عطش الجفاف حتى داهمها رج الإعصار .. كان القرويون يستعدون لجني الخريف، رغم شح الماء وعطش التراب، كانوا يستعدون لجني الزيتون وعصر الزيت، مشوقين إلى ضوع رائحته المنعشة للروح.. قطاف الزيتون واستخلاص زيته موسم ابتهاج حين يغزر الماء .. وفي ذاكرة التاريخ أولائك الفرسان الذين تسربل أبدانهم بزيت الزيتون إذ يعودون منتصرين .. كانت النفوس تستعد رغم مكابدة الأشجار، وهي تستسقي سيل الثلج وتأمل في كل سحابة علها تمطر، ولم يكن في حسبانها هذا الرج العاصف .. ولم يكن في حسبان العروسين في عبورهما السعيد إلى عريش الحلم، أن يقعا نهب انهيار في درب عتيق .. سمع منار الكتبية الصريخ وتأوه بصوت راجف، كرجف مهج الأطفال وهم في رعدة الخوف والذهول أمام هذا الانجراف الذي لا يدركون معناه.. كانت العيون المنكسرة ترسل رسائل وتتلقى رسائل من حطام الديار، والوقت مثخن بالجراح .. لكن نداء الحياة غائر في الأعماق ..

منحوتة من إنجاز ماري فريديريك باي

كنا بعد مد الوباء على وشك قطف أزهار الشمس
لم تضع الحرب أوزارها
ولم يجد الماء بعد مسلك مجراه
لا لوم على الأرض فهي لنا
وتلك غريزتها
والدليل نبع الماء من صدوع
صخورها
لتجديد دم الحياة وتأكيد عهود
الوفاء
لا لوم على الأرض
فالأواصر بينها وبين أهلها واغلة
القلب منصت إلى القلب في تجاوب
الأخدان
والذي صار صار على الدار وأهل
الدار
لا لوم على الأرض
فمواجعها قاصفة ومخاضها انفجار
بركان
قد تقسو على ساكنها
ولكنها تأسو إذ تجد روح الإنسان ..